﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

رسالة المسجد

السنة 19 - العدد 1 / 1442 هـ - 2021 م
مجلة محكمة تصدر عن وزارة شؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

- المقاصد التربوية لمعجزة الإسراء والمعراج
- زاوية في حماية الزوايا
  «دور الزوايا في حفظ العقيدة واللغة»
- محطات من حياة الشيخ سيدي محمد بن لكبير رحمه الله تعالى

العدد : 01

رسالة المسجد

مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

الدكتور يوسف بلمهدي
وزير الشؤون الدينية والأوقاف

المدير العام مسؤول النشر

مستشار المدير العام: **الأستاذ الدكتور محند أو إدير مشنان**، مفتش مركزي

رئيس التحرير: **الأستاذ محند عزوق**، مدير التوجيه الديني وإدارة المساجد

مساعرة رئيس التحرير المكلفة بالترتيبات الإدارية: **الأستاذة وهيبة بوداموس**، المديرة الفرعية للمواقيت الشرعية والمناسبات الدينية

مساعر رئيس التحرير المكلف بالترتيبات الفنية: **الدكتور بلال سعيدان**، المدير الفرعي لتحسين المستوى وتجديد المعلومات

هيئة التحرير

- أ. د. **محمد يعيش**، عميد كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.
- أ. د. **عمار طالبي**، باحث جامعي.
- أ. د. **موسى إسماعيل**، باحث جامعي، جامعة الجزائر.
- د. **عمر بافولولو**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- أ. د. **مصطفى باجو**، باحث جامعي، غرداية.
- أ. د . **سليمان ولد خسال**، رئيس المجلس العلمي - كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1
- أ.**يوسف حفصي**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- د. **نصر الدين وراش**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف
- أ . **سميرة مخالدي**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

المحتويات

■ **الافتتاحية**

كلمة السيد رئيس الجمهورية حول اليوم الوطني للإمام — **السيد عبد المجيد تبون** — 3

■ **دراسات**

تجديد مقاصد الشريعة الإسلامية — **د.عاطف خوالدية** — 7

اختلاف أصول رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق في الكتب الخمسة : كتاب التيسير، والشاطبية، والدرر اللوامع، وطرق طيّبة النشر، وكتاب التعريف — **أ. عثمان بندو** — 21

اسهامات سعيد بن قدورة الجزائري الدرس اللغوي — **أ. مبدوعة كريمة** — 38

■ **ملف العدد**

الزوايا: النشأة والتطور — **أ. إسماعيل خنطوط. د. خليفة صحراوي.** — 56

زواوة في حماية الزوايا «دور الزوايا في حفظ العقيدة واللغة» — **أ. سي حاج محند. م.طيب** — 90

■ **من أعلام الجزائر**

محطات من حياة الشيخ سيدي محمد بن لكبير رحمه الله تعالى — **مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار** — 100

■ **متفرقات**

قصيدة: «فَوَاحُ العِطر بنَواحِي القُطر» — **أ. فيصل حموش** — 103

■ **نشاطات القطاع**

الإسراء والمعراج ...دعوة لنصرة القدس الشريف — **أ.د. سليمان ولد خسال** — 106

المقاصد التربوية لمعجزة الإسراء والمعراج — **أ.د. نور الدين بوحمزة** — 113

ملخص فعاليات الملتقى الوطني للشيخ سيدي محمد بن الكبير رحمه الله في دورته التاسعة عشرة بمناسبة اليوم الوطني للإمام، بعنوان: الإمام رسالة دينية وقيمة وطنية — **مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار** — 123

■ **خطبة العدد**

دور الأسرة في صلاح المجتمع أو فَسَادِهِ — **الحاج اسباغو** — 125

كلمة السيد رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون
في الملتقى الوطني للشيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله
في دورته التاسعة عشرة بمناسبة اليوم الوطني للإعلام

يوم الأربعاء 15 سبتمبر 2021م الموافق 8 صفر 1443هـ بقصر الثقافة، أدرار

ألقاها وزير الشؤون الدينية والأوقاف السيد يوسف بلمهدي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

حضرة الفاضل السيد والي الولاية المحترم، حضرة الفاضل السيد رئيس المجلس الشعبي الولائي، حضرة الفاضل أخي العزيز مستشار رئيس الجمهورية والوفد المرافق له من المكلفين بمهمة في رئاسة الجمهورية، حضرة الفاضل عضو مجلس الأمة، الفاضل عضو المجلس الشعبي الوطني، السادة الأفاضل أعضاء اللجنة الأمنية، حضرة الفاضل السيد رئيس مجلس القضاء، السادة المنتخبين المحليين، السادة إطارات الدولة في إداراتها العمومية ومؤسسات بلادنا العامرة محليا وولائيا ووطنيا، السادة الأفاضل شيوخ والعلماء وأئمة الذكر والفكر وعلى رأس المحتفين بهم في هذا المقام المبارك، نجل سيدي العلامة الشيخ الكبير سيدي محمد بلكبير أخي الفاضل أحمد، السادة المحتفى بهم والمكرمين من أسر وعوائل وممثلي الشيوخ الذين سيكرمهم ويسدي لهم السيد رئيس الجمهورية وسام تقدير وتكريم وتبجيل، السادة الحضور من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة والإلكترونية، الحضور الكريم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، لم يكتفِ السيد رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون حفظه الله

تعالى ورعاه بأن يرعى برعاية سامية هذا الحفل المبارك وهذا الملتقى الوطني وهذه المرحلة التاريخية في الجزائر الجديدة، ولكن زاد هذا المجلس شرفاً وجلالاً وتجلة وتكريما أن وجه كلمة إلى هذا المحفل الكبيرومن خلالكم إلى كل الشعب الجزائري في الداخل وفي الخارج وقد شرفني السيد الرئيس بأن أتلو على مسامعكم الكريمة هذه الكلمة في هذه السانحة الطيبة.

كلمة رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون بمناسبة إحياء الذكرى السنوية لوفاة الشيخ العلامة سيدي محمد بلكبير، في هذا اليوم، وفي مثله وسنين من قبله خلت، يقول السيد رئيس الجمهورية:

السادة الحضور:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، في هذه المناسبة الطيبة، وفي هذه الرحاب العطرة الطاهرة، أتوجه في هذه السانحة الميمونة إلى جمعكم الكريم بالتحيات المباركة، ونحن نترحم على روح الشيخ سيدي محمد بلكبير الزكية في ذكرى وفاته، إذ هو من صفوة العلماء والصالحين المصلحين عليه رحمة الله، وفي وقفة الوفاء والعرفان هذه، إذ تجول الأبصار أرجاء مدرسته العلمية العامرة إحدى ميادين التربية والتعليم والإصلاح وتكوين الأئمة وحفظة كتاب الله، نتمثل بإكبار ثمار الغرس الطيب أثر الشيخ العالم المبارك الذي تجاوز إشعاعه العلمي والمعرفي والتربوي ربوع هذا الوطن الحبيب، بل وصل إلى أصقاع كثيرة في مختلف أنحاء المعمورة، لا سيما في العمق الإفريقي.

إن الشيخ سيدي محمد بلكبيررحمه الله هو سليل السلف الصالح من الأئمة الأعلام، وهو امتداد لسلسلة السند العلمي الشريف من علمائنا وشيوخنا وأئمتنا الكبار الذين تزخر بهم صفحات التاريخ العلمي والثقافي للجزائر؛ فلا عجب والله أن يحضى في هذه

الأرض المباركة الطيبة المعطاءة لا عجب أن يحضى فيها بالقبول والتمكين في هذا اللقاء المبارك؛ تستحضرون معي رمزية الإمام في المجتمع لأنها تشكل معلما هاديا في ثقافته وهويته وقد رسخت والحمد لله في بنات هذا الوطن وأبنائه تقديرواحترام الإمام الذي يبقى محل ثقة شعبنا الكريم، الذي يقدركذلك في علمائنا وأئمتنا الالتزام بقضايا الدين والوطن والأمة والإنسان.

السادة الأفاضل السيدات الفضليات:

فمن رحاب المساجد والزوايا انطلقت قوافل المجاهدين والشهداء بدءاً من الثورات الشعبية المباركة إلى ثورة نوفمبر الخالدة، كما أفشلت جهود ومساعي ساداتنا الأئمة مخططات تمزيق هذا الوطن ووحدته بتصديهم لكل المؤامرات والمكائد وبعد الاستقلال، بعد استقلال الجزائر واسترجاع السيادة الوطنية انتقل الإمام مع أبناء هذا الوطن من معركة الجهاد والتحرير إلى التنوير لبسط الوسطية والاعتدال، ونبذ المغالاة والتطرف، فتفانى في أخلقة الحياة الاجتماعية ونشر الفضيلة ومواجهة المحن الطارئة، والمساهمة في إطفاء نيران الفتنة كلما أراد أعداء هذا الوطن إشعال فتيلها .

أيها السادة الحضور لقد اطلع الإمام في وطننا العزيز بمختلف أدواره العلمية والثقافية والاجتماعية، وجسد معاني المواطنة وهو يأخذ على عاتقه الإسهام في التربية والتعليم ، ويؤدي دوراً مهماً في تحقيق معاني الحق والعدالة والأمن والإصلاح، ويسهم بحق في تحقيق البرامج الوقائية للحفاظ على الصحة العمومية، ويشارك أيضا في العمل الخيري التكافلي.

ولما كان المسجد هو المجال الذي يؤدي فيه الإمام رسالته، وانطلاقا من القناعة الراسخة بأن المسجد مؤسسة اجتماعية يبنيها المجتمع لتكون شريكا أساسيا في تحقيق تنميته الشاملة المستدامة، فقط تنافس أبناء هذا الوطن ومؤسساته في بناء المساجد ورعايتها والعناية بها، وتعبيراً عن هذه القناعة تم بناء جامع الجزائر كي يكون منارة حضارية وموجها

للمساجد الأقطار المشيدة في كل ولاياتنا في هذا الوطن المبارك، وناظما لكل الأنشطة التي يقوم بها السادة الأئمة في مساجد الجمهورية، معززة بمعاهد تكوين الأئمة والمراكز الثقافية الإسلامية والزوايا والمدارس القرآنية، ومنها هذه المدرسة القرآنية العامرة وهذا المسجد الخالد الكبير.

وتقديراً لهذا الجهد والاجتهاد وتكريما لمقام الإمام ومكانته قررنا اعتبار الخامس عشر من شهر سبتمبر من كل عام يوما وطنياً للإمام يتزامن مع الذكرى السنوية لوفاة الشيخ العلامة سيدي محمد بلكبير رحمه الله ورضي الله عنه لما يحمل هذا اليوم من رمزية ولما يعبر عنه من مشروع حضاري متكامل ولإسهامات الشيخ المشهودة في بناء الوطن وفي تربية أبنائه.

عاشت الجزائر أبية، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اختلاف أصول رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق في الكتب الخمسة : كتاب التيسير والشاطبية والدرر اللوامع وطرق طيّبة النشر وكتاب التعريف

بقلم : عثمان بندو
رئيس مكتب الإرشاد الديني
مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية بومرداس
مختص في علم التجويد برواية ورسه من قراءة نافع

تمهيد :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

تُقرأ القراءات القرآنية اليوم بمضمن كتب هي : الكتاب الأول هو نظم الشاطبية والمسماة حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام أبي القاسم بن فيرّه بن خلف بن أحمد الشاطبي الأندلسي وهي قصيدة لامية نظّمها الإمام في القراءات السبع اختصارا لكتاب التيسير للإمام أبي عمرو الداني عثمان بن سعيد شيخ القراء المحققين وسيد أهل الأداء المرتلين وزاد عليه بعض الزيادات، والكتاب الثاني نظم الدرة المضيّة في القراءات الثلاثة المرضية لخاتمة المحققين في هذا الفن شيخ القراء محمد بن الجزري رحمه الله الذي جمع فيه القراءات الثلاثة المتمّمة للعشر نظما لما زاده في كتابه تحبير التيسير وتُسمّى القراءات بمضمن الشاطبية والدرة القراءات العشر الصغرى، والكتاب الثالث منظومة طيبة النشر في القراءات العشر الذي جمع فيه ابن الجزري صحيح القراءات التي نقلها في كتابه النشر للقراءات العشر والذي جمع فيه زهاء ألف طريق معتمدا على أكثر من ثلاثين مصدرا من كتب القراءات، وتُسمى القراءات بمضمن طيبة النشر بالقراءات

العشر الكبرى، أما في المغرب الإسلامي فبالإضافة إلى القراءات العشر الكبرى والصغرى حافظ المغاربة على تواتر طرق نافع العشرة التي جمعها الإمام الحافظ الداني في كتابه : التعريف في اختلاف الرواة عن نافع والتي لازال الناس يقرؤون بها إلى اليوم، وأشهر الكتب التي تُقرأ بمضمونها : كتاب التعريف المذكور وزيادات عليه تضمنتها منظومة تفصيل عقد الدرر لابن غازي رحمه الله وذكرها العلماء في كتب عديدة أهمها : كفاية التحصيل وأنوار التعريف وغيرها كثير مما عُني به المغاربةبالإضافة إلى منظومة الدرر اللوامع لابن بري رحمه الله التي اقتصر فيها على رواية ورش وقالون من طريقي الأزرق والمروزي أبي نشيط متّبعا فيها طريق الداني - كما ذكر - وهي التي بنى عليها ابن غازي أرجوزته تفصيل العقد في طرق نافع العشروزاد عليها .

وقد ذكرت كتاب التيسير رغم أن الشاطبية قد اختصرته وأنّه لا يُقرأ بمضمنه حتى نميّز تلك الزيادات التي زادها الإمام الشاطبي على الأصل الذي اعتمد عليه، إذ أن الناس تقرأ اليوم بالإسناد إلى الشاطبية أما إسناد كتاب التيسير فقد انقطع، لكنّ كتاب التيسير مصدر من مصادر الإمام ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر، فمن قرأ بمضمن طيبة النشر فسيقرأ بالأوجه التي تضمنّها كتاب التيسير .

أما طرق الأزرق من طيبة النشر فواسعة وزادها اتساعا اختلاف المحررين من بعد ابن الجزري خاصة في مسائل الأوجه المقدمة أداء وما أورده في ظاهر النشر وما لم يذكره وسكت عنه بالإضافة إلى بعض الكتب التي أسند إليها ولم يبق لها أثر فهي في حكم المفقود فاستعنت ببعض المراجع في علم التحريرات المفصّلة لهذه المسائل مما استطعت الظّفر به إذا أن بعض الكتب في علم التحريرات من طريق الطيبة شبه نادرة .

ولم أكتَفِ بذكر كتاب التعريف والدرر اللوامع فقط بل زدت منظومة تفصيل عقد الدرر وكتبا أخرى سأذكرها إن شاء الله في طرق نافع العشرة لأن

الشيخ السحابي رحمه الله ذكر أن كتاب التعريف أصل للعشر الصغير ولكن أهل الأداء زادوا عليه ما رووه بأسانيدهم الصحيحة وضمّنوه كتبهم، كما أن هناك بعض الاختلاف بين الدرر اللوامع وكتاب التعريف وتفصيل العقد سنذكره في مكانه إن شاء الله .

وقد ذكر مؤلّفوا كتاب الدليل الأوفق أسانيد المغاربة المتأخرين من طريق العلامة ابن غازي من طريق أخرى قيروانية ويلتقي هذا المحور بسند أهل موريتانيا وسجلماسة مع اعتمادهم على أصل العشر النافعية ألا وهو كتاب التعريف.

ولأننا في الجزائر نقرأ بقراءة نافع لراويه ورش من طريق الأزرق فقد عزمت متوكلا على الله على دراسة الاختلاف الموجود في هذه الكتب - ما عدا الدرة المضيئة طبعا - وذلك في أصول الرواية بطريقة مختصرة .

أولا : الاختلاف بين الكتب الخمسة في الفصل بين السورتين :

1/ الفصل بين السورتين في كتاب التيسير :

جاء في كتاب التيسير : « اختلفوا في التسمية بين السور فكان بن كثير وقالون وعاصم والكسائي يبسملون بين كل سورتين في جميع القرآن ما خلا الأنفال وبراءة فإنه لا خلاف في ترك التسمية بينهما وكان الباقون فيما قرأنا لهم لا يبسملون بين السور ».[1]

وذكر المالقي في شرحه لكتاب التيسير: واعلم أن المواضع باعتبار البسملة في مذهب الحافظ أربعة - وذكر في الموضع الرابع - :

وموضع فيه خلاف وهو ما بين السور فأثبت البسملة فيه قالون وابن كثير وعاصم والكسائي وتركها الباقون .[2]

---

(1)- خلف حمود الشغدلي، دراسة وتحقيق لكتاب التيسير في القراءات السبع، دار الأندلس، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2015، ص 127 .

(2) - أبو محمد عبد الواحد المالقي، شرح كتاب التيسير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص 153 .

فإذا كان الباقون قد تركوا التسمية فبأي طريقة فصل ورش بين السورتين إذن ؟ وهذا ما شرحه الحافظ الداني في التيسير : « ويُختار في مذهب ورش وأبي عمرو وابن عامر السكت بين السورتين من غير قطع وابن مجاهد يرى وصل السورة بالسورة وتبيين الإعراب ويرى السكت أيضا » .[3]

ففي التيسير يفصل ورش رحمه الله بين السورتين إما بالسكت – وهو المقدّم - أو بوصل السورة بالسورة مع تبيين الإعراب .

والذي قرأ به الداني على شيوخه السّكت (وعند التحقيق نجد أنه لا ينبغي أن يُؤخذ لورش بغير السكت من طريق التيسير) .[4]

ولكن : لماذا يضمّن الداني أوجها لم يقرأ بها على شيوخه الذين أسند إليهم في كتابه ؟ هل كان ذلك سهوا منه أم زيادة ؟ وإن كان زيادة فلماذا لم يبيّن ذلك ؟

أجاب الشيخ يحي محمد يحي شريف أن الأوجه التي ذكرها الداني عن الأزرق في التيسير مما لم يروه عن ابن خاقان إنما ذكرها على سبيل الحكاية لا الرواية، وقال في كتابه الإيجاز والبيان: (أي إذا أردت أن تصل السورة بالسورة فاسكت بينهما من غير بسملة، قال الداني رحمه الله في إيجاز البيان : وعلى هذا أكثر شيوخنا والجلّة من المتصدرين، وهو الذي أختار) .[5]

والرأي الصحيح أن السكت والوصل والبسملة اختيار من أهل الأداء داخل في دائرة المروي، والرواية تدور على معنيين، فالسكت والبسملة داخلان في معنى الفصل بين السورتين، والبسملة والوصل داخلان في معنى وصل السورة بالسورة، فالواصلون يجعلون القرآن سورة واحدة، والبسملة بين السورتين للتبرّك، والفاصلون يفرّقون بين السور، فمن اختار البسملة ووقف على آخر

(3)-خلف حمود الشغدلي، مرجع سبق ذكره ، ص 127 .

(4)-الرسالة الغراء، علي النحاس، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة 2 ، 2004 ، ص 29 .

(5)-محمد يحي شريف، الإيجاز والبيان فيما اختصت به رواية الداني لورش من طريق ابن خاقان، منشورات سرتا، الجزائر، الطبعة 1، 2018، ص 09 .

السورة الأولى فقد فصل، وإن وصل آخر السورة بالبسملة ثم البسملة بأول السورة فقد وصل السورتين، فمن اختار ترك البسملة جاز له الفصل والوصل أيضا، فيتعيّن عليه السكت إن اختار الفصل، ويتعيّن عليه الوصل إن اختار الوصل، وعليه يكون لجميع القراء الفصل والوصل إلا حمزة وخلف، فإنّهما يصلان فقط لأن القرآن عندهما سورة واحدة كما ذكرنا .

وعلى هذا المعنى وجبت البسملة عند بداية كل سورة، وإذا اختلف ترتيب السور كالانتقال من سورة النبأ إلى سورة الملك لم يعُد هناك معنى للفصل أو الوصل، بل انقطعا تماما، وصار المعنى هو الابتداء، فصار واجبا على القراء جميعا الابتداء بالبسملة .

ومثله تكرار السورة نفسها، فلا في ذلك فصل ولا وصل، بل انقطاع وابتداء، والله تعالى أعلى وأعلم بالصواب .

ولهذا فإن السكت والوصل صحيحان مرويان عن الداني، ويقدّمُ السكت لشهرته، أما استبعاد الوصل بحجة أنه حكاية لا رواية فهو مستبعد، فقد صحّ وعلى ذلك العمل، بالإضافة إلى أننا لو اقتصرنا على وجه السكت فقط فقد اخترنا معنى الفصل دون الوصل .

2/ الفصل بين السورتين في الشاطبية:

ذكر الناظم : وصِل واسْكُتَن كلٌّ جلاياه حصّلا ، ورمز الكاف والجيم والحاء لابن عامر وورش وأبي عمرو .

ثم ذكر في البيت الموالي : وفيها خلاف جيدُهُ واضح الطلى

ذكر شيخ القراء محمود خليل الحصري رحمه الله في كتابه القراءات العشر من الشاطبية والدرة : « اختلفوا في الفصل بين السورتين بالبسملة وتركِه ... واختُلف عن ورش وأبي عمرو وابن عامر ويعقوب بين الوصل والسكت والبسملة ».[6]

وفي كتابه الإضاءة في أصول القراءة يقول العلامة الضبّاع رحمه الله : « زاد

(6)-محمود خليل الحصري، القراءات العشر من الشاطبية والدرة، مكتبة السنة، مصر، الطبعة الأولى، 2003 ، ص 27 .

ورش عند الجمع بين السورتين ما عدا الأنفال وبراءة والناس والفاتحة وجهي السكت والوصل من غير بسملة ».[7]

قال بن القاصح : « وعلى هذا فالبسملة للثلاثة ورش وأبو عمرو وابن عامر من زيادات القصيد »[8] فالفرق بين الشاطبية والتيسير هو زيادة البسملة في الشاطبية وعليه يكون الفصل بين السورتين للحافظ الداني وجهان وللشاطبي ثلاثة أوجه ذكرتها في منظومتي «البرجمية» :[9]

أما إذا أردت الانتقالا بسمل أو السكت أو الإيصالا

ولنفهم معنى قول ابن القاصح أنقل ما ذكره الأستاذ محمد يحي شريف:

«ومعلوم أنّ مصدر الشاطبية هو كتاب التيسير في القراءات السبع للحافظ أبي عمرو الداني مع بعض الزيادات التي زادها الشاطبي على التيسير والتي أشار إليها بقوله : وألفافها زادت بنشر فوائد ، والإشكال في هذه الزيادات أنها غير معلومة المصدر ... فلا الشاطبي بيّن أسانيد تلك الزيادات .. ».[10]

وفي قول الناظم : وفيها خلاف جيده واضح الطلى « معناه أن في البسملة خلافا عن هؤلاء الثلاثة مشهورا عند علماء هذه الصناعة »[11]

3/ الفصل بين السورتين في كتاب الدرر اللوامع :

اتّفق الشاطبي والحسن ابن برّي في مسألة الفصل بين السورتين، فقد ذكر في الدرر اللوامع :

(7) علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، الطبعة الأولى، 1999، ص 105 .

(8) علي بن عثمان بن القاصح، سراج القاريء المبتديء وتذكار المقريء المنتهي ، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 1954، ص 29 .

(9) عثمان بن علي بندو، منظومة البرجمية في أصول رواية ورش، دار أمل، الجزائر، 2019، ص 16 .

(10) محمد يحي شريف، السبيل الأوثق في تحرير رواية الأزرق من طريق طيبة النشر، دار الفضيلة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2016، ص 22 .

(11) عبد الفتاح القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، مكتبة الدار، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1989، ص 46 .

القول في استعمال لفظ البسملةْ

والسكت والمختارعن النّقلةْ

قالون بين السورتين بسْمَلاَ

وورش الوجهان عنه نُقِلا

واسكتْ يسيرا تحظ بالصواب

أو صِل له مبيّن الإعراب

يقول صاحب النجوم الطوالع أن: « ورشا نُقل عنه وجهان إثباتها – أي البسملة –كقالون وتركها ».[12]

وعليه فإن لورش الوجهان :

أ/ البسملة وهي من طريق الأصبهاني وبعض الطرق عن الأزرق .

ب/ عدم البسملة ويتفرّع عنه وجهان: السكت والوصل .[13]

وقد ذكر بعض شارحي الدرر اللوامع وأولهم الشارح الأول لها العلامة الخراز في القصد النافع أن وجه البسملة هنا غير مخصوص بالأزرق بل بعبد الصمد العتقي أحد رواة ورش الثلاثة في العشر النافعية، وتبعه في ذلك شيخنا العلامة سيدي عبد الرحمن الثعالبي في المختار من الجوامع، وذكر مثله العلامة السملالي في تحصيل المنافع ولكنه زاد أن البسملة طريق الأصبهاني أيضا، وذكر العلامة المنتوري الوجهين معا للأزرق بتفصيل ثم اختار وجه الفصل بغير بسملة وقدّم السكت لأنه المشهور عن الأزرق من رواية الداني، وذكر العلامة الحاج سليمان ميلودي في المختصر الجامع الوجهين أيضا للأزرق مخالفا من سبقه من شرّاح الدرر اللوامع.

وعلى منهجه في تحرير طرق الأزرق من التيسير سار الشيخ محمد يحي شريف في كتابه (إبراز المنافع في تحرير نظم الدرر اللوامع) فذكر أن (البسملة غير ثابتة عن الداني رواية، وإنما نقلها حكاية عن أبي غانم) .[14] وأن الوصل ذكره الداني على غير المشهور والمختار .

(12)إبراهيم المارغيني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع، دار الفكر، بيروت، لبنان، 4002، ص 12.

(13) أحمد رحماني، درة المتون في قراءة الإمام نافع، دار الإمام مالك، الجزائر، 1999، ص 40 .

(14)محمد يحي شريف، إبراز المنافع في تحرير نظم الدرر اللوامع، منشورات سيرتا، الجزائر، الطبعة 1، 4102، ص 14 .

والرد على هذا يكون من أحد وجهين :

- أن علم التحرير صار عبئا على القراءة، ومناقضا للاختيار والتنوّع، وتحرير الدرر اللوامع بناء على قول الناظم (سلكت في ذاك طريق الداني) لم يأت بها الأولون، ولا أحد قال بتقسيم اللين المهموز إلى طريقين عن الداني : طريق ابن خاقان وهو التوسط في عامة اللين المهموز، وطريق ابن غلبون وهو التوسط في باب (شيء) فقط .

ومن نظر إلى عمل المغاربة في العشر النافعية تبيّن له حجم الزيادات التي زادوها على كتاب التعريف الذي هو أصل العشر النافعية، والحمد لله أنها سلمت من التحرير .

- أن الداني خالف طريق ابن خاقان في التيسير نفسه وفي التعريف، فذكر الإبدال والتسهيل في حكم الهمزتين المفتوحتين من كلمة، واقتصر على التسهيل في حكم الهمزتين المتفقتين من كلمتين، واقتصرعليه في كليهما من كتاب التعريف، رغم أن المحررين لم يرضوا إلا بالإبدال بحجة أنه الوجه الصحيح في الرواية !!!

وقد ذكرت لك عمل المغاربة، وسأبيّن لك إن شاء الله - قريبا – أن وجه البسملة صحيح .

وفي شرح صاحب إبراز المنافع لقول الناظم :

واسكت يسيرا تحظ بالصواب

وصل له مبين الإعراب

ضعّف وجه البسملة (وظاهر النظم على تضعيف وجه البسملة)، كما أن كثيرا من الشراح اتبعوا ما استدركه العلامة المنتوري رحمه الله بقوله :

ولكن السكت هو المختارُ

نصّ عليه جلّة أخيارُ

فرجّحوا وجه السكت، غير أن العلامة عبد الهادي حميتو ذكر في كتابه قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش قول العلامة الخراز : (ليس في قول الناظم ما يدل على ترجيح السكت لأن قوله تحظ بالصواب راجع إلى الوجهين جميعا، وكأن قال : واسكت

يسيرا أوصل له أي لورش تحظ بالصواب في الوجهين، ولا يظهر فيه ترجيح السكت، نعم لو قال : تحظ بالأصوب لكان نصا في ترجيح السكت على أصل أفعل في اقتضاء التفضيل) .[15]

4/ الفصل بين السورتين في كتاب التعريف :

ذكر الحافظ في كتابه التعريف في اختلاف الرواة عن نافع : « كان ورش من رواية أبي يعقوب عنه لا يفصل بين كل سورتين ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع القرآن إلا في أول فاتحة الكتاب فإنه لا خلاف بين القراء في التسمية في أولها » .[16]

وذكر صاحب التبصرة مثل ذلك : (والبسملة في الابتداء للجميع وفيما بين السورتين ما عدا الأزرق) .[17]

وقد ذكر صاحب أنوار التعريف أنه قرأ للأزرق عن ورش بوجهي السكت والوصل مع تقديم السّكت، وأن للأزرق البسملة من طريق ابن هلال ولم يأخذ به .[18]

وكلام الحافظ واضح بأن لورش بين السورتين وجه ترك البسملة وعليه يتعيّن السكت والوصل فقط،قال الشيخ أبو العلاء إدريس الودغيري: (والعمل عندنا لورش على هذين الوجهين معا بين السورتين مع تصدير السكت) يريد التصدير بوجه السكت في الأخذ بطريق الجمع بين الروايات في العشر الصغير لأنه المختار وإليه أشار الأوعيشي في أرجوزة الأخذ بقوله :

وبهما العمل والتصدير

بالسكت فاحفظنه يا خبير

وإليه أشار ابن شعيب في إتقان الصنعة بقوله: (وجرى العمل عند

(15)العلامة عبد الهادي حميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، الجزء 5،

(16)الحافظ الداني، كتاب التعريف في اختلاف الرواة عن نافع، مطبعة وراقة الفضيلة، الرباط، المغرب،1995، ص 40 .

(17)العلامة البوجليلي، التبصرة في قراءة العشرة، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة 1، 2013، ص 115 .

(18) العلامة ابن غازي الجزولي، أنوار التعريف لذوي التفصيل والتعريف، دار الكتاب العلمية، لبنان، الطبعة 1، 2004، ص 24 و 25 .

الشيوخ بالجمع بين الوجهين مع تقديم السكت وليس ذلك بواجب) .[19]

لكن الشيخ محمد السحابي يؤكّد في تحقيقه لكتاب التعريف أن هذا هو الوجه الثابت المقروء به لورش من طريق أبي يعقوب الأزرق وهو الذي قطع به الداني في التيسير – كما ذكرنا –وتبعه الشاطبي على ذلك، فالواضح من كلام الشيخ أن المقصود في الشاطبية لورش هو : وصل واسكنْ كلٌّ جلاياه حصّلا، ولم يذكر البيت الذي فيه : وفيها خلاف جيده واضح الطلى، وأشاركذلك إلى بيت في قصيدة العلامة أبي الحسن الحصري الرائية :

ولم أقْرَا بين السورتين مُبسملا لورش .....

وأشار إلى بيت العلامة بن غازي في عقد الدرر :

ومن سوى الأزرق بين السور

مبسمل وما بقي في الدرر

وأضاف : فهذا هو الثابت المروي والمقروء به عند المحققين من مشارقة ومغاربة وأندلسيين .

ثم ذكر أن وجه البسملة إنما هو اختيار أبي غانم المظفّر ولهذا لم يأخذوا به، وأن ما ذكره بن برّي في الدرر اللوامع إنما هوطريق عبد الصمد العتقي ومحمد بن عبد الرحيم الأصبهاني، وترك البسملة في رواية الأزرق هو المشهور والمعمول به عند أهل المغرب في كل بلد وأنّ ما يفعله بعض القراء اليوم من قراءة البسملة بين السورتين مخالف لرواية ورش من طريق الأزرق.

وخالفه في ذلك المحقق عبد الهادي حميتوحيث ذكر (والصحيح أن البسملة بين السورتين ثابتة أيضا في طريق الأزرق من رواية ابن هلال عن أبي الحسن النحاس عنه، قال الإمام برهان الدين الجعبري في الكنز : (وهو طريق ابن هلال عن الأزرق وبه أخذ أبو غانم والأذفوي وتركها طريق ابن سيف وبه أخذ أبو الطيب ويعني ابن غلبون) .

(19) العلامة عبد الهادي حميتو، مرجع سبق ذكره، ص 20 .

وخالفه أيضا في ذكر أن البسملة لصاحب الدرر هي من طريق العتقي والأصبهاني : (وقد أشار أبو زيد ابن القاضي إلى الوهم الذي وقع للشراح في شرح قول ابن بري المذكور فقال : « كذا وقع لهم، وفيه نظر، لأن ذلك يؤدي إلى تخليط الطرق، لأن الشيخ رحمه الله لم يتعرض في الدرر إلا لرواية الأزرق فقط عن ورش وأبي نشيط عن قالون، بل الصواب أن استعمالها وعدم استعمالها معا منقولان عن أبي يعقوب الأزرق فتركُها رواية أبي بكر عبد الله ابن سيف واستعمالها رواية أبي جعفر أحمد ابن هلال الأزدي عنه» .

وقد سمعت من الشيخ محمد السحابي أن المغاربة لا يزالون يقرؤون بطريق ابن هلال ويأخذون بعض الأحكام عنه، لكن لماذا أنكر البسملة هنا ؟ الله أعلم .

وبهذا يُعلم أن الفصل بالبسملة بين السورتين ثابت عن ورش من طريق الأزرق أيضا ثبوت ترك الفصل « **إلا أنه خلاف المشهور**» .

فهو إذن (لا يصادم الرواية وإن كان فيه مخالفة المشهور الذي كان عليه العمل وما يزال في البوادي ومدارس القراءة) .

وقد ذكر أيضا صاحب أنوار التعريف: (اعلم أن عدم البسملة للأزرق إنما هو من طريق ابن سيف والنحاس الأكبر وتفرّع عليه السكت والوصل وبهما قرأت مع تقديم السكت، وله البسملة من طريق ابن هلال ولم آخذ به) .

فهذا دليل على أن البسملة صحيحة، لكنها على غير المشهور فلم يقرأ بها .

5/ الفصل بين السورتين من طرق طيبة النشر :

تشتهر رواية ورش من طريق الأزرق من طريق الشاطبية، بينما هناك طرق أخرى للأزرق جمعها الإمام بن الجزري في طيّبة النشر في القراءات العشر اختارها من طريق إسماعيل النّحاس المصري وعنه 19 طريقا ومن طريق عبد الله بن سيف وعنه 16 طريقا [20] اتفقت هذه الطرق

(20) توفيق إبراهيم ضمرة، الثمر اليانع في رواية ورش عن نافع، المكتبة الوطنية، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى، 2009، ص 341.

في كثير من المسائل واختلفت في بعضها، ومنها الفصل بالبسملة بين السورتين إذ اخْتُلف فيها على ثلاثة أوجه:

الأوَّل: الوصل وقطع له به صاحب الهداية والعنوان وهو ظاهر عبارة الكافي، وأحد الوجوه الثلاثة في الشاطبية،والثاني: السكت وقطع له به ابن غلبون وابن بليمة وهو الذي في التيسير وقرأ به الداني على جميع شيوخه، وهو الثاني في الشاطبية وهو ظاهر عبارة الكامل،والثالث: البسملة وقطع له به صاحب التبصرة من قراءته على أبي عدي وهو اختيار صاحب الكافي[21] وهو الوجه الثالث في الشاطبية، وسكت في النشر عن مذهب صاحب المجتبى والظاهر أنه الوصل كصاحب العنوان، وسكت أيضاً عن مذهب أبي معشر ويظهر من كلام صاحب الروض أنه الوصل أيضاً، وسكت أيضاً عن مذهب صاحب التجريد والذي وجدته فيه من هذه الطرق الوصل[22]، واستظهر المحرر المتوليالبسملة أيضاً لصاحب الكامل فاعرفه.[23]

وهذه الأوجه كلها صحيحة عن ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق : (من خلال ذلك يتبين صحة الأوجه الثلاثة عن الأزرق ويقدّم وجه السكت حيث ورد ذلك عنه من 24 طريقا من مجموع طرقه البالغ عددها 35 طريقا، يليه الوصل وقد

(21) وذكر الوجهين في النشر لصاحب الكافي ولكنّ صاحب السبيل الأوثق اكتفى بذكر البسملة له – وهي اختياره - فانتبه لذلك، وقد ذكر له الوجهين معا الدكتور بشير دعبس في كتابه اختلاف وجوه طرق النشر فراجعه.

(22) وذكر الشيخ محمد يحي شريف البسملة له في كتابه السبيل الأوثق ولم يذكرها العلامة الضباع في المطلوب، وذكر في السبيل الأوثق ما جاء في التجريد : (وروى عبد الباقي عن أصحاب ابن هلال عن ورش بالتسمية بين السور إلا بين القرينتين، وروى بعد ذلك عن ورش مثل حمزة يصل السورة بالسورة ووافقه على ذلك أبو العباس)، وقال الأزميري في تحرير النشر : (روى ابن الفحام في رواية الفارسي عن الأزرق البسملة بين السورتين، وافقه عبد الباقي عن أصحاب ابن هلال عنه، وروى عبد الباقي الوصل أيضا، وافقه على الوصل أبو العباس ... وطريق الفارسي عن الأزرق ليست من طريق الطيبة فافهم) . انظر تحرير النشر للأزميري ص 64 .

(23) محمد علي الضبّاع، الإمتاع بجميع مؤلفات الضباع، الجزء 3، المطلوب في بيان الكلمات امختلف فيها عن أبي يعقوب، منشورات وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت،2008 ، ص 510 .

ورد من 8 طرق ثم البسملة، ولا يقدح ذلك في تواترها وذلك لثبوتها في رسم المصحف كما أنها ثابتة لجميع القراء عند بدء السورة باستثناء حمزة وخلف العاشر حالة الوصل فقط مما يدل على صحة روايته والله أعلم.

وأما ما ذكره ابن الجزري من الوصل عن الأزرق من المفيد للحضرمي وكذا السكت من قراءة مكي على أبي الطيب من التبصرة فليست من طريق الطيبة) [24].

قلت: هذا الكلام فيه نظر، فإنه قد ثبتت كثير من الطرق صحيحة على شرط ابن الجزري، كما أن الكتب التي استدل بها في كتاب النشر كلها نأخذ بها سواء تلك التي أسندها أم تلك التي لم يسند، هذا هو الصحيح إن شاء الله تعالى.

وهذه الأوجه ذكرها المحقق العلامة (المتولي) في كتابه: عزو الطرق فخُذها مع مراعاة ما ذكرناه في الهوامش من اختلافٍ بين أهل الصنّعة من المحررين:

بسملة الأزرق من تبصرة
وسكته نرويه من تذكرة
وهو لعبد منعم تقرّرا
ولابن بليمة والداني قرا
به على كل شيوخه ومن
كامل أيضا فحفظنّ يا فطن
وعنه ذو التجريد ثم المجتبى الْ
عنوان مع هداية كلّ وصلْ
وهو من الكافي مع البسملة
والسّكت معهم الشاطبية[25]

وقد لخّصت كل الأوجه التي ذكرت من طرق طيبة النشر في أرجوزة أقوم بتأليفها قلت فيها:

سبحان ربي ذي الجلال المُنعمِ
أحمده على جزيل النّعَمِ
وأسأل الرحمن أن يصلّي
على الهدى وصحبه والأهلِ

(24) بشير أحمد أحمد دعبس، اختلاف وجوه طرق النشر مع بيان المقدِم أداء، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، 2009، ص 159.

(25) العلامة محمد المتولي، متن عزو الطرق، تحقيق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، مصر، الطبعة 1، 2009، ص 14.

وبعْدُ فابن الجزري عن أزرق
في نشره يختار خير الطرق
فالأول النحاس إسماعيلُ
ثم ابن سيف عالمٌ جليلُ
واختار إسماعيل من ذي الكُتُب
أولها التيسرُ حرز الشاطبي
هداية والمجتبى والداني
عن نافع وخلف الخاقاني
سوق العروس الكامل الفريدُ
تلخيص سبع بعده التجريدُ
ثم ابن سيف من كتاب التذكرهْ
تلخيص سبع كاملٌ والتبصرهْ
والمُجتبى الكافي مع العنوانِ
على ابن غلبون طريق الداني
أضف لها التجريد والإرشادا
وكلها صحيحة إسنادا

باب اختلافهم في البسملة

واختلفوا في الفصل بين السور
فالوصل وجه المجتبى والطبري
وصاحب العنوان والهدايهْ
وهكذا السند في الروايهْ
وأول الأوجه في الحرز تلا
وصاحب السبيل أيضا نقلا
وجهين للفحّام أما البسمله
لم يروِها الضباع فيما نقَلَهْ
وظاهر الكافي من المطلوبِ
في الختلاف عن أبي يعقوبِ
والسكت في الإرشاد ثم الثاني
في الحرز، تيسيرٌ، شيوخ الداني
وظاهر الكامل قل للهذلي
تذكرة، تلخيص سبع فانقُلِ
بسملة في كامل والتبصرهْ
وثالثٌ في الحرز يروي البررهْ
واختارهُ الكافي وفي التجريدِ
فاعمل بها يا طالب التجويدِ

فهذه باختصار أوجه الفصل بين السورتين من طريق الأزرق مما جاء في طيبة النشر لابن الجزري رحمه الله، أسأل الله أن ينفعني بها وإياكم.

والعمل عندنا هو الأخذ بما جاء في طيبة النشر رواية، أما هذا التفصل فداخل في باب الدراية، واختلاف هذه

الوجوه إنما هو **اقتصار** من أصحاب هذه الكتب، فقد كان للقراء والرواة وأصحاب الطرق **الاختيار**، فلما انتهى بالطريق كل تحرير، وانتشرت اختيارات صاحب الطريق في الأمصار، فمنها ما بلغته جميعا ومنها ما لم تبلغ، ومنها ما كان مقدّما عند صاحب الاختيار نفسه، فعمد أصحاب الكتب إلى الأخذ بكل الاختيارات أو **الاقتصار** على بعضها، وبهذا تميّزت كتب القراءات، فلما جمع صاحب النشر ما في هذه الكتب من اختيارات فإنه أراد أن يرسم دائرتي : **الاختيار والاقتصار**، فما يفعله اليوم المحررون من تحرير الاختيارات على أساس ما ورد في الكتب من اقتصار أمر لا أساس له من الصحة، هدموا الفكرة التي من أجلها ألّف ابن الجزري طيّبة النشر التي هي جمع الوجوه الصحيحة من الشاطبية والتيسير وغيرهما وعدم الاقتصار عليهما .

فالقراءة بالسكت أو الوصل أو البسملة يجوز، والاقتصار بأحدها يجوز، لكن دون ربط ذلك بما اقتصر عليه صاحب كتاب معيّن وإلزام القراء به، فإنه لا تحرير للطريق، ولا تلفيق في الطريق .

ملاحظة : في حال الفصل بين سورة الأنفال وسورة التوبة فجميع القراء متفقون على ترك البسملة، وأجاز ابن الجزري في النشر : الوصل والسكت والوقف لجميع القراء في النشر .[26]

وقد فصّل بعض القراء هذا الإطلاق كالتالي :

- الوصل بينهما لمن مذهبه الوصل أو إثبات البسملة .

- السكت بينهما لمن مذهبه السكت .

والوقف بينهما يجوز للجميع .

(26)العلامة ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق الشيخ السالم الشنقيطي، مجمع الملك فهد، السعودية، المجلد 3، 2013، ص 678 .

وفي ذلك أقول :

وبين أنفالٍ وتوبة وَصَلْ
مُبَسمِلٌ وواصلٌ كذا العَمَلْ
وصاحب السّكت له السكت فقطْ
والوقف للجميع فاحذر الغَلَطْ

وعلى هذا فإن القارئ بمضمن الشاطبية يجمع الوجوه كلها بين الأنفال والتوبة : الوصل والسكت والوقف، فإذا كان كذلك، فإن التفصيل الذي ذكرنا لا داعي له ما دُمنا نقرأ بمضمن طيبة النشر التي فيها الأوجه الثلاثة مثل الشاطبية، والاعتماد في الراوية على طيبة النشر وحدها، أما التفصيل فهو داخل في باب الدراية ليُعلم أصل الوجه ومصدره، وإلا فكلّ الأوجه مروية عن صاحب الطريق ثابته عنه، وما أتى في المصادر هو من باب (الاقتصار) .

أسأل الله أن ينفعني وإياكم بالقرآن العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

خاتمة :

إن الدّارس لمسألة واحدة كالفصل بين السورتين لورش لينبهر بحجم الجهد الذي بذله علماء هذه الأمة ليصل القرآن إلينا غضّا طريا كما أُنزل، وقد اختار المغاربة الذّود عن قراءة نافع وهو ما لاحظناه في تعليقات الشيخ محمّد السحابي على المسألة وإتيانه بالحجج والبراهين الدالّة على كلامه، والذي يراه غيره أن الأمر متعلّق بالإسناد فأسانيد المغاربة كلّها على أنّه لا فصل بين سورتين بالبسملة بينما زاد الشاطبي على التيسير البسملة وقد ذكر الشيخ محمد يحي شريف ذلك في كتابه السبيل الأوثق بقوله « ولا شكّ أنّ تلك الزيادات صحيحة والواجب اتباعها على ما جرى عليه العمل عند المحرّرين قاطبة من طريق الشاطبية إذ لا يمكن إعادة النظر فيها لأن مصدر تلكم الزيادات من التيسير غير معلومة» ، ثم إنّ ما ذكره ابن برّي في الدرر اللوامع هو أن البسملة لورش من طريق العُتقي والأصبهاني وليست من طريق الأزرق فهو وهْمٌ من

الشراح كما أشار إليه الشيخ عبد الهادي حميتو، فلو كان ذلك صحيحا لذكره النّاظم إذ أن المنظومة اختصّت برواية ورش من طريق الأزرق وقد ذكر وجه إخفاء الاستعاذةللمسيّبي على سبيل الحكاية، كما أن هناك ما يُثبت وجود وجه البسملة للأزرق من طرق أخرى وهو ما حقّقه العلامة ابن الجزري رحمه الله في كتابه النشر في القراءات العشر بذكر وجه البسملة له في كتب : التبصرة والكافي والتجريد والكامل .

وكلٌّ يقرأ بما روى عن شيوخه إذ القراءة مسموعة ومنقولة عن العلماء كما ذكر الشيخ السحابي في شرح تفصيل العقد لما سُئل عن الزيادات على التعريف التي يقرؤون بها طرق نافع العشرة، ولأن توهّم القراء أن ما جاء من زيادات هو تأويل من الشيخ لا رواية منقولة إنما (ذلك يؤدي إلى تخليط الطرق) كما ذكره الشيخ أبو زيد ابن القاضي، فإن كان الوجه المقروء به خلاف المشهور (فهو لا يصادم الرواية وإن كان خلاف المشهور) وفي معنى ذلك ذكر صاحب السبيل الأوثق عن زيادات الشاطبية على التيسير : (من هنا يظهر جليّا أن جميع ما في الشاطبية صحيح مقطوع به وإنما تتفاوت الأوجه في الشهرة، فبعضها يبلغ مبلغ التواتر وبعضها يبلغ مبلغ الشهرة فيها دون المتواتر ومنها ما هو أقل شهرة وهو الأقلّ، وهي جميعا صحيحة مقطوع بها لأنها تتوفر على شروط صحة القراءة).

فالصحيح هو الأخذ بكل ما جاء في الدرر اللوامع مما قرّره العلماء المتقدمون وبكل ما جاء في طرق نافع العشرة ولو لم يكن في التعريف لأن القراءة سنة متبعة وهذه الزيادات ليست إلا من اختيارات القراء كما ذكر العلماء والاختيار كما هو معلوم عند أئمة القراء إنما يكون في دائرة المرويّ، وقد وضّح صاحب الدرر إسناده من طريق أبي الربيع إلى الداني .

إسهامات سعيد بن قدورة الجزائري في الدرس اللغوي

بقلم: أ. مبدوعة كريمة
جامعة الجزائر

تمكنت الجزائر من توريث رصيد ثقافي زاخر بالمؤلفات والأعمال الفنية في مختلف الميادين، فشملت هذه الحياة الثقافية الجانب الديني والجانب الإجتماعي، مع الجانب العلمي والمعياري[1] كما شملت العلوم اللغوية والنحو خصوصا، ولم يؤلف هؤلاء كثيرا في العلوم اللغوية، إلا أنهم قد اهتموا بعلم النحو إهتماما ملحوظا، وتركوا فيه إنتاجا طيبا وعرف علماء الجزائر بحفظ متون النحو وبعض الشروح وإدراك لمسائلها عن ظهر قلب، ومن الجزائريين الذين اشتهروا بالدراسات النحوية نذكر: يحي الشاوي، عبد الكريم الفكون ومحمد التواتي وغيرهم، كما اعتنوا عناية كبيرة بالمنظومات النحوية، وأشهرها ألفية ابن مالك والأجرومية، أما العلوم الشرعية فقد تميزت بما يلي:

بالتقليد والتكرار والحفظ، فالفقهاء قلما اجتهدوا أو استقلوا بآرائهم، "ومع ذلك فقد حاول بعضهم كسر هذا الجدار"[2] منهم عبد الكريم الفكون* الذي ثار على الجمود الفكري لدى فقهاء عصره" وقد روى سعيد بن قدورة أن الرحال كانت تشد إلى شيخه محمد بن علي أبهلول المجاجي لشهرته في التفسير والحديث"[3] هذا الذي اعتنى به الجزائريون عناية كبيرة تدريسا وتأليفا ورواية و إجازة، وممن اشتهر في علم الحديث عبد الرحمان الثعالبي[4] وسعيد المقري.

أما فيما يخص علم التاريخ والسير فقد عرف بكثرة اهتمامهم به وكثافة إنتاجهم فيه، وقد انفرد الورتلاني عن

معاصريه بغزارة إنتاجه، حيث كان يدرس ويبحث ويؤلف ويعلق على مؤلفات وشروح سابقيه، وأشهر مؤلفاته نجد: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار والمعروف باسم "الرحلة الورتلانية"، بالإضافة إلى هذا فقد ترك الجزائريون أعمالا في التاريخ والتراجم والسير خلال القرن الثاني عشر الهجري بعضها ما يزال مرجعا أو مصدرا إلى حد اليوم.

أما علم المنطق فقد كان إنتاج الجزائريين فيه قليل، وممن برز فيه عبد الرحمان الأخضري الذي أجاد ونجح في اختصار قواعد المنطق وتوضيحها في متنه المعروف بالسلم المرونق في علم المنطق واعتبر هذا العمل الذي قام به هذا العالم الجليل عمدة الأستاذ والتلميذ على حد سواء من جهة ومن جهة أخرى من أبرز ما ألف في علم المنطق في الجزائر خلال العهد العثماني، وقد توالت الشروح والدراسات لهذا العمل وزاد من اهتمام العلماء به حتى فرض نفسه على الدراسات المنطقية حوالي أربعة قرون وممن شرحه وعلق عليه سعيد قدورة، وقد وضع حاشية عليه منها فيها على بعض الأمور التي قد يكون الناظم أغفلها.

1/التعريف بالشيخ سعيد قدورة:

هو سعيد بن قدورة الجزائري، فقيه، مشارك في بعض العلوم، إسمه الكامل سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمان الشهير بقدورة، وقد اشتهر أيضا بنسبته الجزائري، نشأ في الجزائر، وقد ولد لوالدين جزائريين، بعد انتقالهما من قدورة القريبة من جزيرة جربة على ساحل تونس إلى مدينة الجزائر.

2/تعليمه:

تلقى قدورة تعليمه الأول في طفولته على يد معلمه الأول الشيخ محمد بن أبي القاسم المطماطي فبعد وفاة والديه ولمدة ثلاثة سنوات ظل يحضر دروس شيخه المطماطي في الجامع الكبير نظرا للمكانة والسمعة التي كان يتمتع بها هذا الشيخ في ذلك الوقت، وبعد انقضاء هذه المدة، وكعادة الطلاب في مثل سن

قدورة على عدم استقرارهم في دراستهم على شيخ واحد وحبهم للأخذ وتحصيل العلم عن أشهر العلماء وأبرزهم مع رغبة في السفر والتغرب في سبيل طلب العلم على اعتبار أن ذلك جهادا وفريضة سافر قدورة لطلب العلم.

3/وظائفه:

تدرج سعيد قدورة في وظائفه، فبوفاة شيخه تولى إمامة جامع البلاط وخطيب جامع سيدي رمضان، وفي نفس الوقت كان إمام وخطيب مدرس في الجامع الكبير، بعد ذلك تولى مهام مفتي المالكية ووكيل أوقاف الجامع الكبير، وقد سعى قدورة بنفسه إلى هذا المنصب الذي كان يتهيأ له منذ عودته من زاوية علي بن آبهلول المجاجي إلى مدينة الجزائر وأخذ بهذا الدور عن شيخه المطماطي، وبهذا يكون قدورة قد وصل إلى قمة السلم الوظيفي العلمي، وذلك أن الباشا في ذلك الوقت هو الذي كان يعين هذه الوظائف المذكورة، رغم أنه كان في مقتبل العمر فقد تولى تلك المهمة الصعبة، مما يؤكد قدرته.

4/مكانته الإجتماعية والعلمية:

سعى إلى ممارسة التجارة، فما عرف عنه هذا الشيخ أنه كان رجلا ذكيا غاية الذكاء وطموحا غاية الطموح، عارفا بأحوال العصر وأهله، فاستغل هذه الصفات ليصبح من الأغنياء ويتاجر مع كبار التجار آنذاك كما هو معروف عن هذه الفترة* أنها كانت تمثل العصر الذهبي للتجارة ووفرة الأموال في الجزائر، فكثرت أمواله وأشغاله كان ذلك سببا في رفع قيمته حتى أنه كان يقوم أو يتولى أربعة من النواب مكانه في الخطابة، وكان قدورة يدفع إلى هؤلاء أجورهم من ماله الخاص وليس من أوقاف الجامع لأنه غنيٌ، ولأن النيابة كانت شخصية وليست رسمية، كما ذكر ذلك ابن المفتي[5]، واستمر هذا إلى غاية تقديمه لولده بدله في الفتوى والتدريس والخطابة في الجامع الكبير على الرغم من أن هذه الوظيفة شخصية وليست وراثية، وقل من يجرؤ على فعل ذلك.

مكانته العلمية:

وقد بلغ من قيمة قدورة العلمية أن الباشوات كانوا يقفون له إجلالا وإكبارا، ويقبلون يده، كما كانوا يقدمونه على المفتي الحنفي والذي كان يمثل المذهب الحاكم، وذلك لشدة تقديرهم له، وقد كانت له الدالة في المجلس العلمي* والقضائي الذي كان ينعقد برئاسته في الجامع الكبير، ولقيمته ومكانته العلمية كان يحضر هذا المجلس المفتيان والقاضيان الحنفي والمالكي، وبعض القضاة وممثل الباشا والكثير من العلماء مما يدل على مكانته بين هؤلاء وتقديرهم له، وقد حافظ قدورة على هذه المكانة العلمية بالرغم من أن هذه الفترة التي تولاها في الإفتاء كانت فترة طويلة "توافد خلالها العديد من الباشوات، وحدث فيها الكثير من الإضطرابات" [6] إضافة إلى هذه القيمة العلمية والمنزلة بين العلماء وفي وسط الحكماء بلغ به إلى أن يعتقد فيه قومه البركات والكرمات، النفع والضرر، حيث كانوا يعتبرونه من العلماء الصالحين والمرابطين.

/آثاره العلمية:

قد بدت مساهمة قدورة باللسان وبالتعليم والدرس أكثر منه بالتأليف، فما يلاحظ على مؤلفاته أنها كانت قليلة بالمقارنة مع عدد تلاميذه، ولأن مساهمته كانت في الدرس لا في التأليف وكانت باللسان لا بالتعليم، قلت مؤلفاته إلا أنه ومع ذلك نجد المترجمين قد نسبوا إليه بعض التأليف- والتي هي تلك الإملاءات التي كان يمليها على تلاميذته في الجامع الكبير أو جامع سيدي رمضان، وهي بأقلام النساخ وليست بقلمه هو، أو بأقلام الطلاب أنفسهم، وتنحصر هذه المؤلفات في المواد المدروسة من حديث وفقه ونحو ومنطق، "وهي مختصرة وموضحة لبعض المسائل التي قد تفوت الطلاب وهي في حجم الكراس"[7] ومنها:

أ - شرح خطبة مختصر خليل في الفقه.

ب - حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل أيضا.

ج - نوازل تلمسانية.

د - رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو، وهي نبذة ذيل بها شرح الخلاصة للمرادي.

هـ - شرح السلم المرونق في علم المنطق.

و - حاشية على شرح صغرى السنوسي: ولعلها هي الحاشية التي كتبها على شرح ابن خدة الراشدي لها.

ز - شرح على جوهرة التوحيد للقاني في العقائد.

ح - شرح الرامزة الشافية في علمي العروض والقافية للخزرجي وقد سماه شرح المنظومة الخزرجية في العروض[8].

كما كانت له عدة شروح وحواشي غير هذه المذكورة، إضافة إلى أنه كان شاعرا وراجزا، حيث أنه كتب قصيدة في رثاء شيخه آبهلول أثبت من خلالها براعته في علم العروض.

وفاته:

توفي الشيخ سعيد قدورة رحمه الله سنة (1066هـ1656-م) ودفن في زاوية الشيخ المرابط أحمد بن عبد الله الجزائري عند أقدام المطماطي(9)

وصف المخطوط: (شرح السلم المرونق في علم المنطق لسعيد قدورة):

عنوان المخطوط: "شرح السلم المرونق في علم المنطق" (صاحبه سعيد بن ابراهيم الجزائري المعروف بقدورة، حجم هذا المخطوط هو 56 ورقة، مكتوبة من الوجه والظهر، أغلب أوراقه مسطرتها "24 سطر"، وباقي أوراقه متوزعة بين 26 سطر، و25 سطر، متكونة من حوالي 15 كلمة في السطر الواحد. أي ما يعادل 360 كلمة في الصفحة الواحدة. قياس كل ورقة (22.5× 16)، والمساحة المكتوبة من (18.5×13)، هذه الأوراق كتبت بخط غربي متوسط الجودة. وبحبرذو لون بنّي داكن والمائل إلى الأسود الباهت. أما العناوين وأشباهها فقد كتبت باللون الأحمر، يضم هذا الكتاب في الجزء الأول منه شرح السلم المرونق في علم المنطق، وأما الجزء الأخير قد بدأ فيه الناسخ

بالحديث عن علم النحو وأوّل من وضع هذا العلم. كان ذلك في 07 أوراق. وأما باقي الأوراق فهي غير مكتوبة.

لقد إحتوى كتاب السلم المرونق على سبعة فصول، وهي كالآتي:

الفصل الأول: وقد ذكر فيه (سبب تسميته) أهمية علم المنطق وهو أنّه يعصم الفكر من الوقوع في الخطأ أي يعصم الذهن عن الخطأ في الفكر.

الفصل الثاني: في جواز الاشتغال به وقد ذكر فيه الخلاف الواقع بين العلماء في جواز الاستغال بعلم المنطق أو عدم جوازه بين مانع لذلك كالنووي ومحبّ لذلك كالغزالي ومجيزه باعتباره يوصل إلى الحقيقة وهو المؤلف.

الفصل الثالث في أنواع العلم الحادث وهي: إدراك المفرد أي حصول صورة الشيء في الذهن أو ما يسمى التصور، والنوع الثاني إدراك النسبة أي تصور نسبة حدوث الشيء أو التصديق.

الفصل الرابع في أنواع الدلالة اللفظية الوضعية وهي دلالة المطابقة. دلالة التضمن ودلالة الالتزام وقد فصل في هذه الأنواع الثلاثة.

الفصل الخامس في القضايا وأحكامها: ذكر فيه أقسام القضايا وهي إما شرطية أو حملية. وهذه الحملية إما شخصية أو جزئية ثم شرع في بيان الأحكام المتعلقة بكل قسم.

الفصل السادس في القياس: فعرفه وذكر أقسامه وهي القياس الشرطي المسمى بالاستثناء وهو ما دلّ على النتيجة أو نقيضها بالفعل. والنوع الثاني أو القسم الثاني هو القياس بالاقتران وهو ما دلّ على النتيجة أو نقيضها بالقوة أي قوة اللفظ.

الفصل السابع في مباحث الألفاظ وهو موضوع دراستنا فقد ذكر فيه مفهوم اللفظ وأقسامه من لفظ مفرد ولفظ مركب. هذا اللفظ المركب قسمه إلى مركب كلي ومركب جزئي، ثم ذكر أقسام المفرد في نفسه على اعتبار أن

اللفظ ينقسم باعتبارات كثيرة،ثم ذكر أقسام الدال المفرد باعتبار معناه وهي: إسم، فعل، حرف.

بعد هذا ذكر أقسام اللفظ الكلي باعتبار وحدته ووحدة مدلوله وهي: المتواطئ المشترك، المشكك والمتباين، كما تحدث عن نسبة الألفاظ للمعاني.

وهذا الفصل قد تركزت دراستنا عليه لارتباطه بالدرس اللغوي وباعتباره يشمل أحد فروع علم اللغة الحديث وصاحبه يمثل فترة مهمة من تاريخ الجزائر. ومحاولة منا لربط هذه الأفكار بما سبقها وبما جاء من بعدها واستغلال التشابه أو التمايز بينهما.

/قيمة المخطوط: تكمن قيمة هذا المخطوط فيما يلي:

- أن هذا الكتاب من تأليف علم من علماء الجزائر الكبار وهو سعيد قدورة الجزائري أثناء فترة وصفت بالضّعف في مجال التأليف وهي فترة التواجد العثماني التركي بالجزائر (1516 - 1830).
- كونه من الكتب القلية التي ألفت في علم المنطق وتعرضت لمباحث الألفاظ.
- تميّزه بالوضوح وبأسلوبه المباشرة لتبسيط الفكرة وإيصالها للقارئ.
- تعرضة لقضية الدال والمدلول وعرض أراء العلماء وتعريفاتهم له.
- يمثل نوع من الإنتاج الثقافي للفترة الممتدة بين 1516 - 1830 في تاريخ الجزائر.
- يكشف عن منهج وأسلوب المؤلف وعن النهج الذي سار عليه العلماء الجزائريين في مؤلفاتهم.

أنه كتاب يقدم صورة واضحة وبسيطة عن الدال (اللفظ) بصفة عامة وعند علماء المنطق بصفة خاصة.

/الموضوعات الدلالية (المصطلحات):

لقد تضمن "شرح السلم المرونق في علم المنطق عدة مصطلحات دلالية تعددت حسب تعدد الموضوعات

المتناولة. سيما في الفصل المعنون بمباحث الألفاظ وهي: الدال، المدلول، اللفظ، اللفظ المفرد، اللفظ المركب، المفرد الكلي، المفرد الجزئي، الترادف، التباين، المتواطئ، المشكك، الدلالة اللفظية، الوضعية، دلالة الإلتزام الدال الكلي، الدال الجزئي، الجنس، النوع، الفصل، العام، الخاص، جنس الأجناس، نوع الأنواع، الإسم، الفعل، الحرف، العرض العام، العرض الخاص، النوع الإضافي، النوع الحقيقي، الجنس القريب، الجنس المتوسط، الجنس العالي، المركب الطلبي، المركب الخبري، المركب الإنشائي، دلالة المركب الوضعية.

وهذه المصطلحات يستعملها في الغالب علماء المنطق.

مباحث الألفاظ ونسبة الألفاظ إلى معانيها:

تدور دراسة الدال في فصل مباحث الألفاظ ضمن فنين:

يبحث في دلالة الألفاظ على المعاني وانقسام الألفاظ فيما بينها.

1. يبحث في غرقة المعاني بعضها ببعض، وانقسام الموجودات إلى ذاتية وعرضية.
2. وذلك مع عرض للتعريف بالدال ومثارات والتنبيه على ما أغفله الناظم في شرحه.

- ينقسم الدال (للفظ): إلى دال جزئي ودال (مركب) كلي.

دال مفرد ودال مركب وإلى اسم فعل حرف.وتتشعب الدّوال الدال المترادف (الألفاظ المترادفة).الدال المتواطئ(الألفاظ المتواطئة)،الدال المشترك(الألفاظ المشتركة)،الدال المتباين (الألفاظ المتباينة) وتندرج علاقة الألفاظ والمعاني بعضها ببعض تحت موضوعين: الذاتي والعرضي. يتفرع العرضي إلى لازم ومفارق .ويتفرع الذاتي إلى جنس ونوع ومن خلال هذا يستعرض قدورة الدوال الخمسة.

التركيب الشكلي لفصل مباحث الألفاظ:

طابع الكتاب كغيره من حيث التبويب والفصول والمضامين. إنّما هو استمرار لاتجاه عرض المنطق الأرسطي بأبعاده (الأرسطية) الإسلامية. كما فعل الغزالي في كتابه: معيار العلم في فن المنطق". حيث يميل فيه إلى إدخال الألفاظ الإسلامية تمهيدا لإدخال المنطق بالتفكير الإسلامي. ومثلما فعل ابن سينا في العبارة.

لقد توسع قدورة في الحديث عن الدال وأقسامه في فصله مباحث الألفاظ. كما أطال شروحاته له. إذا ما قورن بما جاء في السلم المرونق لصاحبه عبد الرحمن الأخضري فجعل مبحث الدال ينقسم إلى قسمين: 1/موضوع الألفاظ والمعاني. 2/موضوع اللفظ وأقسامه.

- يتناول الموضوع الأول دلالة الدال (اللفظ): من حيث الإفراد والتركيب. من حيث الكلية والجزئية.

من حيث علاقة الإشتراك. التواطؤ. الترادف. التباين.

وكلّها وردت في السلم المرونق. لكن قدورة يفصلها أكثر في شرح السلم محيطا إياها بالأمثلة المختلفة والتنبيهات.

فقسم اللفظ المفرد والمركب في نفسه.وقسمه إلى الدال المترادف. المشكك. المتواطئ وذلك باعتبار وحدة الدال الكلي وباعتباره وحدة مدلوله. كما يضيف دلالة الألفاظ على معانيها من حيث الذاتي والعرضي وعرضه للكليات الخمس (الألفاظ الخمسة).

مباحث الدال(اللفظ):

1. الدال المفرد والدال المركب

يبدأ قدورة حديثه في شرح السلم محددا معنى الدال المفرد والدال المركب، وهو تقسيم للدال الجزئي من حيث النظر إلى معناه. فيقول في تعريف الدال المركب:" إن حقيقة المركب عند المناطقة هو الذي يراد بجزئه الدلالة على جزء معناه. نحو: زيدٌ قائم. فإن جملة هذا اللفظ يدل على معنى تركيبي. وهو كون زيد حصل له القيام في الماضي أو يحصل في الحال والاستقبال. وجزء هذا اللفظ وهو

زيد مثلا يدل على جزء هذا المعنى. وهو ذات زيد".[10] فالدال المركب أو المؤلف هو الذي يدل على معنى وله أجزاء منها يلتئم مسموعه. ومن معانيها يلتئم معنى الجملة. ومعنى ذلك أنّه اللفظ الذي له جزء يدل على جزء معناه. كقولنا الإنسان يمشي.

ولا يختلف هذا التعريف عما ورد عند معاصريه وسابقيه من المناطقة العرب بالمعنى نفس. فالدال المركب فهو الذي يدل كل جزء فيه على معنى. والمجموع يدل دلالة تامة. بحيث يصح السكوت عليه.

يبحث في دلالة الألفاظ على المعاني وانقسام الألفاظ فيما بينها. يبحث في علاقة المعاني بعضها ببعض، وانقسام الموجودات إلى ذاتية وعرضية. وذلك مع عرض للتعريف بالدال ومثارات والتنبيه على ما أغفله الناظم في شرحه. ينقسم الدال (للفظ): إلى دال جزئي ودال (مركب) كلي. دال مفرد ودال مركب وإلى اسم فعل حرف. وتتشعب الدّوال (الألفاظ) إلى:الدال المترادف (الألفاظ المترادفة)

الدال المتواطئ(الألفاظ المتواطئة) الدال المشترك(الألفاظ المشتركة) الدال المتباين (الألفاظ المتباينة)

وتندرج علاقة الألفاظ والمعاني بعضها ببعض تحت موضوعين: الذاتي والعرضي. يتفرع العرضي إلى لازم ومفارق .ويتفرع الذاتي إلى جنس ونوع ومن خلال هذا يستعرض قدورة الدوال الخمسة.

-الدال المفرد: وهو كما ذكره سعيد قدورة:" هو اللفظ الذي لا يدل جزؤه على جزء معناه. بأن لا يكون له جزء أصلا. كهمزة الإستفهام. أوله جزء لا معنى له. كحرف من حروف زيد مثلاً. أو له معنى غير مقصود كأبوكم وبعليك"[11]. يشير قدورة في هذا القول إلى تعريف الدال المفرد وهو " الذي يدل على معنى. ولا جزء من أجزائه يدل بالذات على جزء من أجزاء ذلك المعنى"[12]. فالدال المفرد هو أن لا يدل شيء من أجزائه على شيء من المعاني البتة. ولا يدل شيء من أجزائه

على شيء أصلا حين هو جزؤه وذلك نحو قولنا: الإنسان. فإنه يدل على معنى لا محالة وجزءاه لا يدل بهما على معنى لا محالة. أو أن يدلا على معنيين ليسا جزئي معنى الإنسان"[13].

وقد يكون الدال المفرد دالا مركبا وهو عندما تتجزأ دلالته بحيث لا تفصح عنه. وإنّما تتحول إلى دال غيره. مثل: عبد اللّه" فإنّه وإن جاز أن يجزأ إلى "عبد و"شمس" ولكن لا تكون دلالته من حيث يراد أن يقال: "عبد اللّه".

وما هو ملاحظ في تعريف قدورة لمبحث الدّال المفرد والدّال المركب بدؤه بالحديث عن الدّال المركب ثم الدّال المفرد. مع أن المخاطبات النظرية تكونت بألفاظ مؤلفة. والأفكار العقلية تكونت من أقوال عقلية مؤلفة. والمفرد كان قبل المؤلف. وجب عليه التكلم في الدّال المفرد أولاً ثم الدّال المركب ثانيا. ويجدر التساؤل هنا: لماذا أخر قدورة الحديث عن اللفظ المفرد إلى ما بعد اللفظ المركب؟ هل للتمهيد لدراسة أقسام المفرد بإعتباراته المختلفة؟

يشير قدورة إلى سبب تأخيره الحديث عن الدال المفرد إلى ما بعد الدّال المركب في قوله: "وإنّما بدأ بذكر المركب وتعريفه مع أن المفرد سابق في الوجود لأن قيود المركب وجودية، وقيود المفرد عدمية سلبية. ولا يعقل سلب أمر إلاّ بعد تعقل ذلك الأمر المسلوب. فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكية. ولا تعقل الأعدام إلاّ بملكاتها والمركب ذو الملكة."[14] ولتوضيح هذا القول نقول مثلا: المثنى له علامته الدالة عليه وهي الألف في الرفع، والياء في الجرّ والنصب. والجمع المذكر السالم أيضا له علامته وهي الواو في الرفع والياء في الجرّ والنصب. وما بقي من هذه العلامات اللاحقة به فهو المفرد.

وربّما سبب آخر المرتبط بالتقليد. أي تقليد عبد الرحمن الأخضري في سلمه حين بدأ الحديث عن الدّال المركب ثم الدال المفرد. وفي تبويبه لمباحث الألفاظ. وقد تابعه قدورة في شرح السلم. لكن عبد الرحمن لم يشر إلى ذلك السبب. ولم يفصل في الإشارة إلى السبب وذكر

التنبيهات عقب الحديث عن ذلك. بل أعقب بحث الألفاظ ببحث المعاني على خلاف ما فعله قدورة من إتباع كل مبحث بالتنبيهْ الواحد أو التنبيهات المتعددة. مع العلم أن موضوعات الشرح لم تتغير كليّا. بل بقي طابع عبد الرحمن الأخضري والمنطق الغالب عليه. والإختلاف كان في إطالة الشرح والأمثلة والتنبيهات التي أعقبت كل مبحث.

لقد اعتنى قدورة في دراسته للألفاظ مكملا طريق عبد الرحمن في سلمه. مضيفا بالشرح شروحاً تفصيلية وتوضيحية متعمقا في دراسته المنطقية اللغوية. سعياً منه إلى تفسير وتوضيح الحدّ اللفظي.

فجمع بذلك بين طابع المنطق عند العرب المتمثل في دراسة الألفاظ بما تحمله من خلقيات ودلالات. وبين حدود المعاني التي وردت عند أرسطو.

تدور الأبحاث اللفظية في الشرح حول العلاقة بين الشكل والمضمون منطقيا. لكن الجانب المهم من دراسته للألفاظ كان في شروحه للدّال الكلّي والدّال الجزئي. نظرا لتعلقهما بالتصورات المنطقية.

-الدّال الكلّي: وهوكما ورد في الشرح "الذي لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه"[15] أي أن اللفظ الذي لا يمنع مفهومه أن يشترك في معناه كثيرون.وبتعبيرآخر الذي يدل على كثيرين بمعنى واحد متفق.إما كثيرون في الوجود كالإنسان أوكثيرون في جواز التوهم. وهويرادف العام. تقول: العلم الكلّي أو العلم الشامل لكلّ شيء. فالكلّي بالمفهوم الذي ذكره قدورة. هو الشامل لجميع الأفراد الداخلين في صنف معيّن و" الذي لا يمنع تصوره من أن يشترك فيه كثيرون لتتحقق بذلك مجموعة من الصفات في هذه الأفراد مثل إنسان*"[16].

لقد وسع قدورة من دراسته للدّال الكلّي متجاوزا في ذلك ما ذكر في السلم. موردا ما أغفله الناظم. ذاكرا بذلك أقسام الكلّي الثلاثة وأوّل هذه الأقسام هو:

-الدّال الجزئي: يشرح قدورة معنى الجزئي ليبين أنّه خلاف الكلّي في قوله:" وهو الذي لا يفهم الإشتراك فيه"[17] وله تعقيب وتوضيح على ذلك."إن الجزء في اللغة ما يتركب الشيء منه ومن غيره."[18]

أما إصطلاحا فهو الذي لا يمكن أن يكون معناه الواحد لا بالوجود ولا بحسب التوهم لأشياء فوق واحد. بل يمنع نفس مفهومه من ذلك. ومعنى ذلك أنّه اللفظ الذي لا يصلح مدلوله لإشتراك كثيرين فيه. كأسماء الأعلام من زيد وعمرو ونحوه. وهو ما خصوصيته بالنسبة إلى ما هو أعم منه، أي اللفظ الذي يقال على مدلوله وعلى غير مدلوله لفظ آخر من جهة واحدة. كلفظ الإنسان فإنه جزئي ويقال على مدلوله حيوان.

فالجزئي بهذا المعنى هو الإسم الذي يمكن إطلاقه على شيء واحد معيّن بالذات. ومن ثم لا يصلح لأن يشترك في معناه أفراد كثيرة.

أضرب الدّال المفرد: يقيم قدورة تقسيمات المفرد على تفريع دلالي يأخذ كمعيار دلالته على الكلّ أو الجزء. وإمكانية حمله على كثيرين من الفاعلين.

-الإسم: يقول قدورة في ماهية الإسم المفردة "الإسم هو الذي ينقسم إلى كلّي وجزئي. والكلّي هو الذي لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه"[19].

-الفعل: يقول فيه: "فالفعل كلّي لأنّه يصح حمله على كثيرين من الفاعلين"[20].

-الحرف: يقول فيه: "والحرف ليس بكلّي ولا جزئي. إذ لا معنى له في نفسه وإنّما معناه في مدخله"[21].

يحدد قدورة أضرب المفرد وهي ثلاثة: إسم، فعل وحرف. وذلك بالنسبة إلى الكليّة والجزء أي بالنظر إلى مدلوله أو معناه. لأن الكليّة والجزئية من عوارض المعاني. و" اللفظ المفرد لا يدل المستمع على معناه إن لم يعلم أن اللفظ موضوع للمعنى ولا يعرف ذلك حتى يعرف المعنى. فتصور المعاني المفردة يجب أن يكون **سابقا على فهم المراد بالألفاظ**"[22].

-**الألفاظ الكليّة:** إن الألفاظ الكليّة خمسة: جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام.ويذهب أيضا إلى وجود تراتب وأجناس متوسطة بين الجنس والنوع وهذا التوسط أخص من الجنس وأعم من النوع.ثمّ يذكر قدورة الكليّات الخمسة بالتفصيل. مبيّنا حمل الكلّي على الآخر ودور كل واحد منها. فالجنس يرسم بأنّه كلّي يحمل على أشياء مختلفة الذوات والحقائق. والنوع يحمل على أشياء تختلف بالعدد. ويدخل تحت الجنس. والفصل يوصف بأنّه كلّي يطلق على حقائق مختلفة. وتشير لنا الشروح بأن قدورة كان أكثر دقة فيها.

الموضوع الثاني: تعدد الدّال (اللفظ والمدلول):

بعد تحديده لأقسام الدّال المفرد من حيث النظر إلى معناه إلى الدّال الكلّي والدّال الجزئي. شرع الآن في ذكر أقسام الدّال الكلّي باعتبار وحدته ووحدة مدلوله. فعرض بذلك أربع منازل في نسبة الألفاظ إلى معانيها. وقد وردت تسميتها نفسها في السلم. ويتميز فيها بالشرح والتفصيل. أما المنازل الأربعة والواردة عند قدورة وهي:

1/دال واحد لمدلول واحد: أي لفظ واحد لمعنى واحد. وهو على قسمين:

أ/الدّال المتواطئ*: يحدده قدورة على أنّه: "الكلّي الموضوع لمعنى مستوي في مجاله"[23] أي أن أفراد المتواطئ تكون مستوية في مجال واحد. وذلك نحو: الإنسان ودلالته على زيد وعمرو. فهو يدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها. كدلالة الحيوان على الإنسان والفرس والطير. فإن حظ الفرس والطير من الحيوانية متساوية لحظ الطير منها.

ب/ الدّال المشكك: يشير قدورة إلى ماهية المشكك فيقول: "والمشكك هو الكلّي الموضوع لمعنى مختلف في مجاله إما بالكثرة أو القلة"[24] وذلك كالنور بالنسبة للسراج والشمس.

2/الدّال المتباين: (دال كثير لمدلول كثير) وهي الألفاظ المتباينة.أي الأسماء

المختلفة الدّال والمدلول أي في اللفظ والمعنى على حدّ سواء. يقول فيها قدورة: "الألفاظ التباينية والمتباينة المتفارقة. فمتى اختلف المعنى تحققت المفارقة بين اللفظين"[25] وذلك نحو: رجل، فرس، مفتاح. فهي ألفاظ مختلفة المدلول أو المعنى.

3/الدّال المشترك: (دال واحد ومدلول متعدد): وهي "التي يتحد فيها اللفظ ويتعدد معناها فهي المشتركة."[26] وهو صورة من صور تعدد المعنى.أي ما اتفق لفظه واختلف معناه وذلك نحو: لفظ القنوت. التي تأتي للمعاني التالية: الطاعة، القيام في الليل، الدعاء في الصلاة. ومثل لها قدورة بلفظ العين فهي موضوعة للعين الباصرة. عين الماء. عين الجاموس. عين الذهب. فهو لفظ واحد يطلق على معاني مختلفة.

لقد توسع قدورة في شرح دلالات الألفاظ أكثر مما جاء في السلم. وقد تأثر تأثرا واضحا به. إلاّ أنّه قام بالتحليل والشرح والتبسيط أكثر لتقريب وتوضيح المسائل المتعلقة بالألفاظ ودلالتها. وقد استعرض علاقات الألفاظ بالمعاني. متوسعا في شرحه لها حتى إعطاء المعنى اللغوي لها.

4/ أسلوبه: ولعلّ ما يتسم به أسلوب المؤلف هو البساطة والسهولة. ولكنها بساطة السهل الممتنع، بساطة الأسلوب العلمي الخالي من الزخرفة اللغوية، بساطة القادر المتمكن من تبليغ المعاني بألفاظ سهلة في تعبيرواضح وتركيب متين، متسلسل الأفكار، ومن سمات أسلوبه أيضا الإيجاز غير المخلّ بالمعنى وهو الذي يوصل إلى المقصود بأقل تكلفة لفظية ومن أقصر طريق، ومن ذلك مثلا قوله في تعريف للفظ المفرد:« هو (ما دل) الذي لا يدل جزؤه على جزء معناه» واللفظ المركب "هو الذي ما يراد بجزئه الدلالة على جزء معناه. والدال إن كان لفظا فدلالته لفظية. واللفظ المركب إما طلب إن أفاد طلبا وإما خبرا إن احتمل الصدق والكذب وهذا أدل على بساطة الأسلوب، إضافة إلى هذا فإن ما تميز

به أسلوبه هو الوضوح أي أنّه خالي من التعقيد والالتواء حيث أنّه ينساب وراء الألفاظ السهلة التي يفهمها القارئ، وينفر من التكلف وينأى عن الحشو مما يجنبه الركاكة. إلاّ أنه وفي بعض المسائل كان يسهب في شرحها حسب طبيعتها. وإن اقتضى الأمر ذلك لكنها قليلة ولم تعمّ كل المسائل من ذلك في حديثه عن أقسام الدال المفرد وبعد انتهائه من تفصيل ذلك يقول: « هذا تقسيم للفظ المفرد من حيث النظر إلى معناه إذ الكليّة والجزئية من عوارض المعاني. وأما الألفاظ فقد تسمى كلية وجزئية تبعا للمعنى تسمية للدال باسم المدلول، والدال هو المرشد، والمدلول هو المرشد إليه. وهو قسمان كلّي وجزئي». وغرضه من هذا كلّه هو التبسبيط والتوضيح مع تقريب الفهم إلى القراء بأسلوب يفهمه كل قارئ. وهذه نماذج قليلة تبيّن أسلوب الكاتب في إجلاء معانيه وفقا لمنهجية واضحة المعالم. استكشفنا من خلالها نضج أسلوبه الذي كان منذ البداية قويا، وسار في مستوى أفقي من أول الكتاب إلى آخره محافظا على قوته وتوازنه دون أن يعتريه ضعف أو إنهاك. وهذا ينمّ عن تجربة في ميدان التأليف، ويوحي بأن سعيد قدورة سبق له أن ألف كتبا قبل تأليفه لهذه الحاشية[27].

الهوامش:

1 - الجزائر في التاريخ 4 العهد العثماني، د/ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، ص 123.

2 - المرآة، حمدان بن عثمان خوجة، تقديم محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972، ص48.

*هوعبد الكريم ابن الفكون، ولد 1083هوتوفي 1073هـ، فهو علامة زمانه، من أسرة جزائرية ذات مجد في القدم، له منشور "الهدية في كشف حال من ادعى الدراية" ترجمته: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ط1، بيروت، 1971 ص58.تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي، ج1، ص191.

3 - تاريخ الأدب الجزائري، محمد بن عمر الطمار. ش.و.ن.ت الجزائر(د ت) ، ص 218 .

4 - هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري ولد 786هـ وتوفي 875هـ، شغل عدة مناصب، سافر إلى خارج الجزائر، ألف في مختلف العلوم، ترجمته تعريف الخلف ص76، تاريخ مدينة الجزائر ص74، تاريخ الجزائر العام ص120.

5 - يعد من المعجبين بسعيد قدورة، وذكر أنه كان لقدورة نواب في الخطبة وهم: محمد بن قرواش، سيدي مزيان، ابن رأس العين، أما الرابع فلم يذكر إسمه "تاريخ الأدب الجزائري" محمد بن عمر الطمار، ص 218.

*يتكون من العلماء وصاحب بيت المال والمفتي الحنفي والمفتي المالكي.

6 - طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائروإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م للآغا بن عودة المزاري، تح، د/ يحي بوعزيز دار الغرب الإسلامي، بيرت، لبنان، ط1، 1990، ج1، ص250، ومن ذلك ثورة الكراغلة وثورة ابن صخري سنة 1634م.

*معجم مشاهير المغاربة، د/ أبو عمران الشيخ، ناصر الدين سعيدوني، ص436.

7 - المهدي بوعبدلي، أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي، الأصالة، عدد8، جوان 1972، ص62.

- تاريخ الجزائر الثقافي، د/ أبو القاسم سعد الله، ج1، ص368.

8- Catalogue genirale du manuscrits de la bib- Nation- d'algerie- pare. FAGNAN،p63.

9 - معجم مشاهير المغاربة، د/ أبو عمران الشيخ، د/ ناصر الدين سعيدوني، ص440.

10 - المصدرنفسه، ص443.

11 - المصدرنفسه ، ص 18.

12 - أرسطو عبد الرحمان بدوي. وكالة

المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، ط2، 1980، لبنان، ص 98.

13 - منطق أرسطو، عبد الرحمن بدوي، ص: 12.

14 - شرح السلم المرونق في علم المنطق، سعيد قدورة، ص: 19.

15 - شرح السلم المرونق في علم المنطق. سعيد قدورة، ص: 18.

16 - النطق ومناهج البحث. د. ماهرعبد القادر محمد علي، ص: 23.

*فإنه يمكن أن على زيد وعمرو وعلى غيرهما. فإن زيد إنسان وعمرو إنسان.

17 - شرح السلم المرونق في علم المنطق، سعيد قدورة، ص: 19.

18 - التعريفات، الشريف الجرجاني، ص: 51.

19 - شرح السلم المرونق في علم المنطق، سعيد قدورة، ص: 19.

20 - المصدرنفسه، ص: 19.

21 - المصدرنفسه، ص: 19.

22 - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تميمة. جمعه عبد الرحمن الحنبلي. مطابع الرياض، ط1381-1هـ- كتاب المنطق. م9. ص: 49.

23 -*التواطؤ بمعنى التوافق ومنه قوله تعالى: (لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ)(التوبة 37) أي ليوافقوا.

شرح السلم المرونق في علم المنطق، سعيد قدورة، ص: 26.

24 - المصدرنفسه، ص: 26.

25 - المصدرنفسه، ص: 26.

26 -المصدرنفسه، ص:26.

27 - له «شرح خطبة مختصرخليل في الفقه، حاشية على شرح القاني، شرح المنظومة الخزرجية في العروض، حاشية على شرح صغرى السنوسي».

الزوايا النشأة والتطور

بقلم: أ. إسماعيل خنطوط
إمام أستاذ بمسجد أبي بكر الصديق رمضان جمال سكيكدة.
د. خليفة صحراوي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة باجي مختار عنابة.

تمهيد: ترتبط نشأة الزوايا في العالم الإسلامي عموما والمغرب العربي خصوصا، بمرحلة تاريخية اتسمت بالتراجع والتقهقر في مجالات الحياة المختلفة، ومنها الجانب المعرفي، الذي يعد المظهر الأبرز المعبر عن الحالة المرضية التي تعانيها الحضارة الإسلامية في شتى فروعها.

وقد عد مالك بن نبي هذه الحقبة - التي سماها عصرما بعد الموحدين- حلقة ضعف في مسيرة الحضارة الإسلامية، حيث غلب التقليد على التجديد، وطبع الجانب المعرفي بطابع الشروح والحواشي، وغاب الإبداع والابتكار، مما أضفى عليها سمة التخلف والجمود، وأدرجها في مرحلة العد العكسي.

وبما أن الزوايا وليدة هذه المرحلة، فإنها تأثرت في شتى مجالاتها بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية العامة، وأثرت فيها العوامل الموجهة للبنى الفكرية والنفسية، بيد أن تجربة الزوايا لا زالت تحمل في جنباتها أصولا وأسسا معرفية وبيداغوجية نابعة من الذات الحضارية، تحتاج فقط إلى نفض غبار التقليد والجمود الذي طمس بريقها، وأذهب جاذبيتها، وأفقدها عطاءها، فهي مرحلة انحطاط معرفي بالنسبة للمراحل التاريخية السابقة لها، لكنها تمثل في جوانب كثيرة منها أصالة التعليم في الحضارة العربية والإسلامية، كما أنها

مستمرة - إلى الآن في كثير من بلدان العالم الإسلامي- كتجربة تهدف إلى خدمة العلم والمعرفة، وتسعى إلى الحفاظ على اللغة العربية وعلوم الدين.

من ثم يمكن القول: إن الزوايا تحتل مركزا هاما في تاريخ المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا، وهذا راجع إلى الدور الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي الذي اضطلعت به قديما، قبل وجود المؤسسات التعليمية والاجتماعية العصرية، مما جعلها ركيزة أساسية يساهم المجتمع في الحفاظ عليها ودعمها ماديا ومعنويا، وعلى الرغم من تراجع مكانتها وتقلص دورها مع ظهور البدائل وانتقال مركز الثقل إلى المؤسسات الاجتماعية المختصة، فإن فاعليتها لازلت موجودة، وعطاؤها ما فتئ مستمرا، مما يؤهلها لأن تكون موضوعا للبحث والدراسة.

لذا يأتي هذا البحث للتعريف بها وتبيان وظائفها، ولتتبع مسارها التاريخي، ومعرفة الظروف والعوامل المساعدة على ظهورها.

ومن ثم جاء مقسما إلى مبحثين:

المبحث الأول: الزوايا مفهومها ووظائفها.

المبحث الثاني: سياقها التاريخي.

1 - الزوايا مفهومها ووظائفها:

1.-1 مفهومها:

1.1.-1 لغة:

يدل الأصل الثلاثي (ز و ي) على معان كثيرة تنحصر في معنيين متباعدين دلالة، متقاربين في الوظيفة الإجرائية لمصطلح زاوية:

- الانضمام والتجمع:

تقول زوَيت الشَّيءَ : أي جمعته وضممت أجزاءه إلى بعضها، قال ابن منظور: «**انزوى القوم بعضهم إلى بعض تضاموا**»[1]، وقال ابن فارس: «الزاء والواو والياء أصل يدل على انضمام وتجمع»[2]، وهذا المعنى أقرب إلى مصطلح الزاوية، الذي يدل مكان تجمع جماعة خاصة بمكان خاص، للذكر وقراءة القرآن وتعلم العلم.

- المباعدة والتنحي:

قال ابن منظور: «**الزي مصدر زوى الشيء يزويه زيّا وزويّا فانزوى، نحاه فتنحى وزَوَيْت الشيء عن فلان أي نحّيته**»[3] والزاوية مكان تباعد وتنحى عن العمران والمدن- غالبا- ينزوي فيه شخص أو جماعة قصد الانقطاع لذكر الله وعبادته وطلب العلم.

1. 2. 1 - اصطلاحا:

ينتمي مصطلح الزاوية مع مصطلحات أخرى إلى حقل دلالي متكامل، وتشكل العلاقات الموجودة بين وحداته الاصطلاحية روابط أو أنساق دلالية، تساهم في إيضاح التشكل المفهومي لمصطلح الزوايا. فحينما ننظر نظرة غائية إلى مصطلحي التزكية والتربية المرتبطين في التراث الصوفي بمصطلحي العزلة والخلوة[4]، نلحظ أن التربية أو التزكية غاية الخلوة والعزلة، وهذان الأخيران يحيلان بدورهما على مصطلح التصوف، الذي نشأ مصطلح الزاوية في كنف فلسفته الانعزالية. وقد عرفت الزاوية بتعريفات كثيرة أهمها:

- تعريف ابن مرزوق لها بأنها: «**المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين**»[5]

- يعرفها رابح تركي بأنها: «**مدرسة دينية ودارا لضيافة الأغراب، وتعتبر مركزا لمشايخ الصوفية ومخصصة للعلم والثقافة العربية الإسلامية في مراحل الدراسة**»[6].

- وعرفها أبو القاسم سعد الله بقوله: «**الزاوية مؤسسة شاملة فهي مسجد للعبادة ومدرسة للتعليم وملجأ للهاربين ومأوى للغرباء ومركز للفقراء**»[7].

يتضح مما سبق ما يلي:

- اتفقت التعريفات الثلاث على الدور الاجتماعي للزوايا المتمثل في الإيواء والإطعام، فابن مرزوق عرّفها بالنظر إلى الوظائف التي كانت تؤديها في عصره، فهي مقصد المسافرين والمحتاجين، والأمر نفسه عند رابح تركي فهي دار لضيافة الغرباء، أما أبو القاسم سعد

الله فقد أبرز الوظيفة الاجتماعية للزوايا من خلال إيواء الغرباء والفقراء، فهذه الوظيفة ملازمة للزوايا منذ نشأتها، وقد حافظت عليها رغم تقلبات الزمن، واحتلاك الظروف، ولازالت مستمرة إلى الآن، إذ تخصص الزوايا دارا للضيافة تأوي وتطعم الغرباء والمسافرين والفقراء.

- تظهر الوظيفة التعليمية والدينية للزوايا في التعريفين الثاني والثالث، وهما وظيفتان اضطلعت بهما الزوايا العلمية قديما وحديثا، والتعليم فيها ديني خالص، يقتصر على العلوم الشرعية- كالقرآن والفقه والتفسير- واللغوية، كالبلاغة والنحو والصرف والصوتيات، لكن هذه الوظيفة لم تكن موجودة في عهد ابن مرزوق، فالزوايا في عهده تقترب من زوايا الذكر والتصوف منها إلى زوايا العلم والمعرفة.

- تأخذ الزوايا طابع الهيئة المنظمة للملتقيات والاجتماعات الخاصة بشيوخها ومريديها، كما تؤدي وظيفة سياسية بحكم ارتباطها بالمجتمع، وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى هذا، فهي ملاذ للهاربين من السلطة الحاكمة أو من غيرها.

- مما ينبغي التنبيه إليه أن التصوف وتقديم الخدمات الاجتماعية والتعبدية سمات مشتركة بين جميع أنواع الزوايا، العلمية وغير العلمية، بيد أن الأولى تتجه إلى تربية النشء وتقويمه وتثقيفه، والثانية تجعل من الذكر والمدائح والخرافات- عند بعضها- شعارا لها.

2.1 - وظائفها:

كثرت الوظائف التي قامت بها الزوايا، وتعددت أدوارها، بين الديني والتعليمي والسياسي والاجتماعي والثقافي، لكن أهم وظيفة ضمنت لها استمرارها وأمّنت لها بقاءها هي الوظيفة التعليمية. وقد تستمر بعض الزوايا ويلتف الناس حولها، وإن مارست نوعا من الدجل وبيع الوهم والخرافة؛ لأنها تحاول دائما أن تغطي وهمها ودجلها بالغطاء العلمي والديني ولو بشكل محتشم؛

وسأحاول تتبع الوظائف والأدوار التي قامت بها الزوايا، دون مراعاة للتسلسل الزمني لهذه الوظائف والأدوار، مع عدم إغفال المشكلات والظروف التي أحاطت بالزوايا وعرقلت مسيرتها الحضارية في الماضي والحاضر.

1. 2. 1 - الوظيفة السياسية:

يلاحظ الراصد للتاريخ الإسلامي تفاعلات اجتماعية واقتصادية وسياسية وأمنية، ساهمت في بلورة الفكرة السياسية لدى الزوايا، فالمجتمع المسلم عمل على إنتاج الروافد المغذية لدور الزوايا السياسي، وذلك بعد انتشار النزعة الانعزالية الصوفية في المجتمعات المسلمة، جراء الطغيان المادي البادي في قصور ودور الأغنياء والأمراء والسلاطين، ومن ثم جاءت العزلة الصوفية لتغذية الذات بمقومات تقف أمام عناصر الاستلاب الغازية للشخصية الإسلامية، ثم تطورت لتتخذ لها مراكز بعيدة تحميها من الانصهار والذوبان أمام نار المادة والشهوات المطلة من القصور.

وأثناء الهجمات الصليبية والمغولية على العالم الإسلامي، استعملت هذه المراكز وسيلة دفاعية لمواجهة الغزو الخارجي، وظهرت فاعليتها في المغرب الإسلامي بعد سقوط الأندلس واشتداد الحملات الصليبية، بحيث أصبحت ثكنات للمجاهدين، وأضحى شيوخها ومرابطوها في طليعة الجند يحمسون الناس على قتال العدو.

وبعد دحر العدو واستتباب الأمن يجد الحاكم نفسه مجبرا على احترام شيوخ الزوايا والمرابطين الذين ساهموا في دفع الخطر وتجنيد الناس، فالبطولة والشجاعة والصلاح عوامل تثبت في ذهن العامة تقديس واحترام المتصف بها، فكيف إذا اجتمعت معها الخدمات الاجتماعية والعلمية التي تقدمها الزوايا؟.

وبهذا نرى أن الزوايا أخذت من الحاكم وظيفته السياسية، بقدر ما نابت عنه في خدمة الرعية، لأن السياسة ممارسة وسلوك، وليست تصورا ذهنيا

لا يلامس الواقع، فمن خلال الممارسة الفعلية للقواعد المتحكمة في العملية السياسية، تتكون قناعة الناس في جدوى جهة سياسية أو عدمها.

لذا فإن العملية السياسية في الزوايا جاءت كردة فعل عن الخلل الحاصل في السلطة القائمة، إذ كلما كانت السلطة غير قادرة على تمثل مطالب الكتلة البشرية الموجودة، كانت عرضة للتفلّتات أو التحولات أو التقاعس الجماعي للشعب عن هذه السلطة، ويظهر هذا جليا في المكانة السياسية التي تبوأتها الزوايا أواخر العهد العثماني، نتيجة الضعف الحكومي في كثير من المجالات السياسية، والتي قامت الزوايا بسدّها[8].

وبعد سقوط السلطة العثمانية في الجزائر إبان الغزو الفرنسي، قامت الزوايا مقام السلطة الذاهبة، واستمرت في قيادة الشعب لمدة تفوق النصف قرن؛ من بداية الاحتلال 1830 إلى نهاية المقاومة 1904[9].

1. 2. 2 - الوظيفة الدينية والتعليمية:

تعد الزاوية في نشاطها الديني والتعليمي انعكاسا للبنى الثقافية والاجتماعية السائدة، والتي تحدد الأطر العامة المتحكمة في توجه الأفراد والجماعات والمؤسسات، فالشيخ أو الطالب في الزاوية، تتحكم - في نشاطهما التعليمي والتعلمي- صلات وترسبات اجتماعية خاصة تشكلت مع مرور الزمن، لا يتصور تعليم أو تعلم أو تدين- في الزاوية- بدونها.

إذا سقف المجتمع طموحاته وعطل روافده الفكرية، حكم على نفسه بالتوقف في الحقبة الزمنية التي اتخذها صنما يدور حولها لا يكاد يتجاوزها، وقد كانت الوظيفة الدينية والتعليمية للزوايا محاصرة بخنادق عميقة منعت الدارسين والعلماء من مجاوزة الرقعة الفكرية المسموح بها، ويمكن تجلية هذه الفكرة من خلال النقاط الآتية:

1. 2. 2. 1 - غلق باب الاجتهاد:

الاجتهاد أصل من أصول التشريع الإسلامي، كما أنه «**ضرورة من ضرورات الحياة، فلا تستقيم حياة مجتمع ينحو إلى الجمود**»[10]، فبعد مرحلة العطاء والإنتاج العلمي للمسلمين -قبل الغزو التتري- تم تمجيد الخمول، تحت شعار: ما ترك الأول للآخر شيئا، واكتفى المسلمون بتراث السابقين شرحا وتعليقا وتعقيبا، خوفا من التجديد ورضا بالموجود، فأضحت غاية العالِم أن يفهم ما قال الأول، مما فتح الباب أمام ممارسة القمع الفكري على المجتهدين، وتسليط العامة عليهم؛ بحجة مخالفة المألوف، وما فتئت يد الغلق أن أوقفت كل تجديد في مجالات النشاط العلمي في العالم الإسلامي.

وفي ظل الظروف العلمية السائدة لقرون، اقتنعت دور العلم بالموجود، وسارت على الدرب المرسوم، ومن ثم نجد الزوايا تسير في ركاب التقليد، إذ اكتفت بالمحتوى التعليمي والطرائق الموجودة، دون محاولة جادة لتغيير الأوضاع القائمة، بما يتماشى مع مستجدات الزمن، فالنحو يدرّس على طريقة ابن مالك وابن آجروم والحريري وابن هشام، في جميع المستويات التعليمية، دون تفريق بين طالب مبتدئ وآخر متمرس، ودائما ما ينحو التعليم نحو الكم لا الكيف، وقيمة الطالب ترتفع بعدد المتون المحفوظة في التخصص الواحد، لا بالفهم الصحيح والأداء السليم للكفاءات التعليمية.

1. 2. 2. 2 - تقديس التراث:

النظرة إلى التراث نظرة غير موضوعية، أنتجت اتجاهين متضادين، حالا دون الاستفادة منه الاستفادة المثلى، الاتجاه الأول أقنع نفسه بمقولة: نضج حتى احترق[11]، فلم يحاول أصحابه تقويم الخلل وتدارك الخطأ، وذلك ما «**يمثل تحديا حقيقيا لكل أمة من الأمم، حيث إن التراث قد يكون محفزا وملهما، وقد يكون مثبطا ومقعدا، بل إنه في حالات**

الركود يمثل مصدرا مستمرا للمشكلات والانتكاسات»[12].

والاتجاه المضاد يهدف إلى الانسلاخ والطمس، ويسعى إلى إحداث قطيعة معرفية مع الروافد الحضارية والثقافية للأمة، مما يشكل تحديات خارجية تقابل بالرفض والاستهجان.

وقد عاشت الزوايا عصر الركود والانحطاط، وكانت نظرتها إلى التراث نظرة تقديسية، فليس في الإمكان أفضل مما كان، وأبلغ ما يصل إليه الدارس أن يستوعب شرحا لمتن، أو يشرح متنا، أو يضع حاشية لشرح، أما المراجعة الجادة الهادفة إلى «**التوظيف والاستلهام والتجاوز والاعتبار والنقد**»[13]، فليس من هدف الزاوية، فالهالة التبجيلية للتراث جعلت الزاوية تقف على أعتابه ولم تستطع الانتقال من نتاج السلف إلى مقتضيات العصر ومتطلباته.

1. 2. 2. -3 تقسيم العلم إلى ديني دنيوي:

لا يمكن الفصل بين الوظيفتين الدينية والتعليمية في الزوايا؛ لأن تعليم الزوايا ديني بامتياز، ففيها مسجد للعبادة، تقام فيه الصلوات والأذكار، وفيها مكان مخصص لتدريس العلوم الشرعية، أما العلوم الأخرى التي يطلق عليها علوم الآلة فهي وسلية لفهم النصوص الشرعية، يؤخذ منها بقدر ما يعين على الفهم. وهذا يخالف ما فهمه الأوائل من النصوص الشرعية التي تحثّ على طلب العلم، إذ لم تفرق بين العلوم، فالعلم «**الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء.. ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة أو غير ذي حياة ..**»[14]، ومن هنا قسم العلماء الأوائل العلوم من ناحية الحكم إلى فرائض عينية، وأخرى كفائية؛ الأولى تتعلق بسلوكات الفرد الشخصية،

والثانية ترتبط بالمصلحة العامة للمجتمع، وكل فرض كفائي يصبح فرضا عينيا على كل من تخصص فيه أو انتدبته الجماعة إلى التخصص فيه.

بدأ هذا مع النهضة العلمية في العالم الإسلامي، بنزول قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ ﴾[15]، واستوت على سوقها في عصر المأمون الذي كان يرى أن الدين يشمل كل مجالات المعرفة، ومن ثم سعى إلى تهيء الجو العام لاستيعاب المعارف والعلوم اليونانية والفارسية والهندية والرومية، وبهذا صارت بغداد عاصمة العلوم في عصره، واشتهرت بمكتبة بيت الحكمة[16] «فالعلم في الإسلام يتناول كل موجود، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يعلم، فهو علم أعم من العلم الذي يراد لأداء الفرائض والشعائر، لأنه عبادة أعم من عبادة الصلاة والصيام، إذ كان خير عبادة الله أن يهتدي الإنسان إلى سر الله في خلقه وأن يعرف حقائق الوجود في نفسه ومن حوله..»[17].

غير أن النظرة القاصرة هي التي هيمنت على التوجه العام للمجتمعات المسلمة، وقسمت العلوم إلى دينية وأخرى دنيوية، وحصرت الدلالات العامة للنصوص المرغبة في طلب العلم على الجانب الشرعي، مما ضمن للتعليم الخاضع لهذه الرؤية موارد مالية ساهمت في إقصاء المفهوم العام للعلم في الإسلام، بل تناساها الناس مع مرور الزمن، وطمست جهود العلماء المسلمين في هذا المجال، وفي أحسن الأحوال يعدون همزة وصل حضاري بين حضارتين غربيتين.

1. 2. 3 - الوظيفة الاجتماعية:

لم تكن الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الزوايا قاصرة على جهة محددة، فالزاوية تقدم خدمتها حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهي مؤسسة اجتماعية خالصة، باعتبار أن المجتمع هو الذي ساهم في إيجادها واستمرارها، لذا كانت أيام الحرب تقود أتباعها للجهاد، وتنصر المجاهدين وتطعمهم، وتتحالف مع الأمراء المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد[18].

ويشمل نشاط الزوايا الاجتماعي جوانب عديدة، كان المجتمع الجزائري في أمس الحاجة إليها، نجمل الكلام عنها في الآتي[19]:

- إيواء الطلبة والغرباء والفقراء، حيث فتحت ستة عشر زاوية - في قسنطينة وحدها - أبوابها لطلبة التعليم الثانوي الذين يدرسون خارج أسوارها، كما خصصت مكانا لمبيت الغرباء والفقراء.

- التكفل بفقراء وعجزة مهاجري الأندلس الهاربين من محاكم التفتيش الاسبانية، وبعد موت هؤلاء استمر العمل بهذا مع ذوي الأصول الأندلسية.

- التزمت الزوايا بنصوص أوقافها، فلا تصرف ما تجنيه من الأوقاف إلا وفق نص الواقف، فمن كان منها مخصصا للفقراء والمرضى والعجزة لا يصرف إلا عليهم، كزاوية سيدي أبي عتيقة، وما خصص لفقراء العلماء محصور فيهم كزاوية سعيد قدورة.

- إصلاح ذات البين وفك الخصومات بين الأفراد والقبائل، والعمل على لمّ شمل الأسرة والمجتمع، فقد نابت الزوايا عن المحاكم في كثير من القضايا مما أسهم في الحد من الظلم والأحكام الجائرة التي قد تصدر عن بعض القضاة، فشيخ الزاوية يتقاضى إليه الناس عن طواعية دون سلطة تنفيذية مجبرة على تطبيق الأحكام إلا ضمير المتخاصمين وإيمانهما.

- الوقوف في وجه أدوات الاستعمار الثقافية، الممثلة في المبشرين الذين استغلوا حاجة الجزائريين لإبعادهم عن قضيتهم وتسخيرهم لخدمة فرنسا، إذ قامت الزوايا بأعمال بر وإحسان أغلقت **«الأبواب في وجه المبشرين الذين يتربصون الفرص للوصول إلى أغراضهم باسم التعليم والتطبيب والإحسان»**[20].

1. 2. 4 - الوظيفة الثقافية:

يعد الشق المعنوي من أهم عناصر الثقافة و**«يشمل جميع المبادئ والمفاهيم الأخلاقية والعقائدية والذوقية والمعارف الفولكلورية واللغوية والأدبية والفنون**

المختلفة»[21]، ومن هنا سعت الزوايا إلى المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري والممثلة في اللغة والدين والانتماء الحضاري، فالمجتمع الجزائري جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي، والوسيلة المثلى لترسيخ الهوية الثقافية للمجتمع والمحافظة عليها، إدراج النظم أو البنى المكونة للثقافة في المناهج التعليمية، وقد جسّدت الزوايا ذلك من خلال التعليم المكثف للطلبة، إضافة إلى دروس الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني لعامة الناس في المساجد، مما جعل الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري تقف في وجه الثقافة الوافدة المفروضة على المجتمع بالترغيب والترهيب. وأهم النظم الثقافية التي حافظت الزوايا عليها هي:

1. 2. 4. 1 - النظام الغيبي الروحي:

الإيمان بالغيب من ضرورات الإيمان، فلا إيمان دون تصديق بالغيب، وقد نص القرآن الكريم على هذا في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[22]، ويتضمن النظام الغيبي في الدين الإسلامي ماء وراء الحواس – ما وراء الطبيعة- وجاء الخبر الصريح والصحيح بنقله، فيدخل في ذلك الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله والملائكة واليوم الآخر والجنة النار، وبكل ما أخبر به القرآن وصحيح السنة النبوية من الغيبيات.

ومهما حاول الإنسان إنكار الجانب الغيبي، فإنه يقر بوجوده في جوانب كثيرة من حياته، لأن **«النفس الإنسانية مغروس فيها الشعور بوجود الله... وهو شعور فطري، فطر الله الناس عليه، وعبر عنه العلماء بالغريزة الدينية»**[23].

وهذه الغريزة الدينية التي اصطلح على تسميتها بالنظام الغيبي، هي المتحكمة في بقية الأنظمة الأخرى، فبموجبها يتم تنظيم مرتكزات الهوية الثقافية للمجتمع، فالنظام القرابي - مثلا - يتم تنظيمه وفق المنظور الإسلامي، الذي يستمد تعاليمه من

النظام الغيبي (الوحي)، فالعلاقة بين الآباء والأبناء مبنية على الإحسان، وهي في فقه الأولويات بعد طاعة الله[24].

وبما أن التعليم في الزوايا تعليم ديني خالص، فإن النظام الغيبي الروحي الممثل في الوحي بشقيه - القرآن والسنة الصحيحة- هو المصدر الأساس لبقية الأنظمة الأخرى، كالنظام القرابي والأخلاقي والتشريعي، أما النظام اللغوي العربي، فالزاوية تعده من الأنظمة الواجب تعلمها وتعليمها، امتثالا للقاعدة الأصولية: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا تُفهم نصوص الوحي دون معرفة معمقة بالنظام اللغوي العربي.

1. 2. 4. 2 - النظام القرابي أو العائلي:

العلاقات الاجتماعية بين الناس ضرورية لقيام المجتمعات واستمرارها، وتشكل السلوكات الفردية روح المجتمع، لذا سعت المجتمعات منذ القدم إلى إيجاد أسس لتنظيم حياة الأفراد داخل العائلة **«باعتبارها الخلية الأولى والأساسية في أي نظام قرابي، وهذا النظام يحتوي على قواعد وقوانين وتقاليد أساسية لتحديد حقوق وواجبات أفراد العائلة داخل النظام القرابي، وتنسيق علاقات أفراد العائلة»**[25].

ويختلف النظام القرابي من مجتمع لآخر، تبعا لاختلاف الروافد التي يستمد منها المجتمع أفكاره، ومن ثم يقع الاختلاف والتنوع بين الثقافات، والمجتمع المسلم ينظم العلاقات بين أفراده انطلاقا من الوحي الإلهي، فجميع الحقوق والواجبات المادية والمعنوية التي تخص أفراد الأسرة مصدرها الوحي، وهي ما يعرف في الفقه الإسلامي بفقه شؤون الأسرة – الأحوال الشخصية- والزوايا ترمي في تدريسها إلى الحفاظ على نواة المجتمع، من خلال نشر الوعي بالحقوق والواجبات والضوابط الشرعية المنظمة للأسرة، مع الاهتمام بتقوية العلاقات الرابطة بين أفرادها، كطاعة الوالدين وبرهما والإحسان إليهما، والرأفة بالأبناء

وحسن تربيتهم، والعشرة الحسنة بين الزوجين، وزيارة الأرحام.

1. 2. 4. 3 - النظام الأخلاقي:

يقوم كل مذهب أخلاقي على قاعدة الالتزام، فهي نقطة الارتكاز التي عليها مدار الأمر، فلا أخلاق بلا التزام، وهذه القاعدة من أعظم القواعد عند علماء التربية والسلوك المسلمين، امتثالا للأمر الإلهي ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[26].

وقد بين الفيلسوف الفرنسي **هنري برجسون** [27] مصدرين أساسيين للالتزام الأخلاقي هما[28]:

- قوة الضغط الاجتماعي: فالمجتمع يمارس ضغطه المادي والأدبي على أفراده ليلتزموا.

- قوة الجذب ذي الرحابة الإنسانية، المستمدة من العون الإلهي، وهذا ناشئ عن سمو في السلوك والوجدان.

لكن محمد دراز خالفه في تحليله لقاعدة الالتزام، انطلاقا من رؤية قرآنية، فالإنسان فرد مستقل مكلف حر في تصرفه، مطالب شرعا بامتثال الأخلاق الفاضلة، بموجب عقله الذي هو مناط التكليف.

والناظر في النظام الأخلاقي للزوايا العلمية في الجزائر، يلحظ التأثر الواضح بالتربية الروحية عند الصوفية، ومن العلماء الصوفية الذين صنعت أفكارهم النظام الأخلاقي في الزوايا، الجنيد وأبي حامد الغزالي وابن عطاء الله الإسكندري والشيخ أحمد زروق وغيرهم. وهذا النظام الأخلاقي في الأساس مستمد من نصوص الوحيين، إلا أن الإجحاف قد لحق بعض جوانبه، كما تسربت إليه الخرافة والدجل، نتيجة الهوى أحيانا، والترسبات القديمة لدى بعض الشعوب حديثة العهد بالإسلام أحيانا أخرى.

والتصوف في حقيقته تربية روحية سلوكية تهدف إلى إصلاح القلب، وتزكية النفس، ومن هذا المنطلق سعت الزوايا إلى إصلاح الفرد وتقويم سلوكه.

1. 2. 4. 4 - النظام التشريعي:

ويطلق عليه التشريع الإسلامي، وهو مجموعة الأحكام والقواعد القانونية الملزمة المتعلقة بتنظيم سلوك الأفراد داخل المجتمع، والمسماة بالشريعة الإسلامية.

وتهتم هذه القوانين بتنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المسلم، شاملة كل مجالات حياته متصفة بالمرونة وعدم الجمود، مستندة على خمس قواعد كلية[29]، تتفرع عنها مئات القواعد الفرعية، وتتجلى مرونتها مثلا، في باب المعاملات في استنادها إلى قاعدة: الأصل في الأشياء الإباحة.

وقد تفرعت مدارس التشريع الإسلامي إلى مدارس عدة، تلتقي جميعها في الطابع الجماعي التي صبغ العمل التشريعي، فالمذهب المالكي مثلا، ثمرة جهود ألوف من العلماء المجتهدين طيلة قرون في المشرق والمغرب، حتى أرسيت اختياراته الفقهية على أصول وقواعد معلومة، وهذا المذهب هو الذي شكلت معالمه واجتهاداته الفقهية النظام القانوني لسكان المغرب الإسلامي والأندلس.

وقد التزمت الزوايا في الجزائر المذهب المالكي واجتهادات علمائه مصدرا للتشريع القانوني، ولا يعني هذا إلغاء المذاهب الفقهية الأخرى وعدم قبولها، بل يتم اللجوء إليها إذا ما اقتضت الضرورة ذلك، لكن المرجعية المختارة من قبل جميع الزوايا دون استثناء هي مالكية.

1. 2. 4. 5 - النظام اللغوي:

يتكون النظام اللغوي من مجموعة من الأنظمة المتكاملة فيما بينها- الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي- يمكن إدراكه وتمييزه عن غيره من أنظمة اللغات الأخرى، وقد سعت الزوايا إلى الحفاظ على النظام اللغوي العربي، باعتباره صمام الأمان للهوية الثقافية الإسلامية للمجتمع الجزائري. فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وربط المجتمع بالقرآن يوثق الصلة بينه وبينها، ويحافظ على نظامها الصوتي، من خلال أحكام

الترتيل، والصرفي والتركيبي من خلال دروس النحو الصرف، والدلالي ممثلا في المباحث الدلالية عند الأصوليين.

2 - السياق التاريخي للزوايا:

يمكن تفكيك المسار الزمني للزوايا إلى ثلاث مراحل، وذلك باعتبار التطورات الحاصلة في الفكر المنظم للتوجهات العامة للزوايا، حيث مرت -الزوايا- بمحطّات تاريخية بارزة، شكلت معالم الخط الزمني، المجسد لعمرها في تاريخ المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا، وسنوجز الكلام عليها في المراحل الآتية:

1.2 - مرحلة المخاض والولادة:

تعد هذه المرحلة أكثر المراحل الثلاث غموضا، فلم يحدد الباحثون - حسب اطلاعي- بدايتها بدقة، إذ أن أقدم تأريخ توصلت إليه، ما ذكره محمد باي بلعالم تحت عنوان، تاريخ نشأة الزوايا في منطقة توات، يقول في ذلك: «**وفي بلدية أولف زاوية حينون التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى دخول الإسلام للمنطقة وقد أسس مسجدها في القرن الثاني للهجرة سنة 164 للهجرة**»[30].

أما المقريزي فقد أشار في كتابه المواعظ والاعتبار، إلى وجود عدة زوايا بمسجد عمرو بن العاص، منها زاوية الإمام الشافعي التي درس بها الفقه، والزاوية المجدية رتبها مجد الدين أبو الأشبال الحارث بن مهلب الأزدي، والزاوية الصاحبية للصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين، والزاوية الكمالية وغيرها[31]

ومما تجد الإشارة إليه أن الزوايا المقصودة هنا هي الناحية من المسجد تخصص للعلم، وهي أقرب إلى المدلول اللغوي منها إلى الزوايا التي ظهرت فيما بعد في المغرب الإسلامي، وهذا المفهوم اللغوي كان حجر الأساس لظهور الزوايا بمعناها المعاصر.

ويرجح صلاح مؤيد العقبي أن الزوايا بمفهومها الاصطلاحي ظهرت بالمغرب الإسلامي ابتداء من القرن الرابع الهجري، مستدلا بما ذكره المهدي البوعبدلي: «أن

الملك الموحدي يعقوب المنصور الذي عرف بعلمه ودينه وسياسته بنى زاوية بدار الضيوف كتلك التي أسسها الملك المريني أبو عنان خارج مدينة - سلا- وقد تحدث عنها الرحالة المغربي ابن بطوطة في رحلته، وتلك التي دفن فيها الملك المذكور والده أبا الحسن بالرباط، والتي عرفت بزاوية شالة»[32].

وقد ذكر لفظ الزاوية كتاب عنوان الدراية أثناء ترجمة أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي المتوفى سنة (662هـ/ 1264م) مما يؤكد وجودها في ذلك التاريخ ببجاية[33].

كما تحدث ابن مرزوق التلمساني المعاصر للدولة المرينية في الباب الثاني والأربعين عن دور أبي الحسن في إنشاء الزوايا، وقسم هذا الباب إلى أربعة فصول. تحدث في الفصل الأول عن ثواب بناء الزوايا، والثاني عن السند الشرعي لاتخاذها، والثالث للتعريف بها، والرابع عرض فيه للمشابهة القائمة بين أهل الزوايا وأهل الصفة[34].

أما الرحالة المغربي ابن بطوطة، فقد أكثر من ذكر لفظ الزوايا في كتابه الرحلة - ذكرها -172 حتى يكاد القارئ يظن أن جميع البلاد التي زارها توجد بها زوايا، حيث أشار إلى الزوايا التي أقام بها أثناء رحلته، منها: زاوية أبي عبد الله المرشدي بالإسكندرية، وزاوية الشيخ شمس الدين القلوي ببلاد البرلس ونسترو، وزاية الإبراهيمي بحماة سوريا، وزاية بمدينة عبّادان، مدينة إيرانية حاليا تسمى آبادان...[35].

غير أن أغلب هذه الزوايا يغلب عليها الطابع التعبدي وتقوم بأدوار اجتماعية، كالإيواء والإطعام، أما الجانب التعليمي فيكاد ينعدم فيها.

ومن ثم يمكن القول إن زوايا هذه المرحلة، اكتفت بأداء أدوار تعبدية، تنزع نزعة صوفية، وتستمد أصالته من نصوص الوحي، وشرعيتها السياسية من التوجه العام للحكام والأمراء والملوك، وقاعدتها أو أرضيتها التي ترتكز عليها؛ العامة من الناس والأتباع والمريدين.

2. 2 - مرحلة الانتشار والازدهار:(ق 9هـ، 15م- 13هـ، 19م).

تمتد هذه المرحلة من أواخر العهد المريني، إلى بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر، فقد اهتم أمراء بني مرين بالزوايا اهتماما بالغا، تأثرا بالانتشار الواسع للفكر الصوفي في المغرب العربي، إذ ارتبطت الزاويا في هذه المرحلة بالأذكار والأوراد، أو الأولياء الصالحين والأضرحة، ومع اشتداد الحملات الإسبانية على شواطئ المغرب العربي، أضحت مراكز رباط وجهاد يتمركز فيها المجاهدون لصد غارات الغزاة.

وقد بلغت أوج قوتها وانتشارها في الفترة العثمانية، وساهمت مساهمة فعالة في دعم الدولة ومحاربة العدو المحتل أيام الحرب، كما لعبت دورا هاما في نشر تعاليم الدين والمحافظة على اللغة العربية أيام السلم، ومن هنا عد أبو القاسم سعد الله انتشارها وكثرتها، وكثرت المباني المخصصة لها من أبرز ميزات العهد العثماني، إذ تجاوز عددها في بعض المناطق عدد المدارس والمساجد، يقول في ذلك: «**وتثبت الإحصاءات أن عدد الزوايا والأضرحة ونحوها كان يفوق عدد المساجد والمدارس، فقد كان بتلمسان ونواحيها أكثر من ثلاثين زاوية في آخر العهد العثماني**»[36].

وقد تنوعت وظائفها بين الجهاد والتعليم والخدمات الاجتماعية والثورة ضد السلطة القائمة أحيانا، ومزارا لطالبي البركة وقضاء الحاجات فقد كانت في العهد العثماني « **قلعة جهادية، ومدرسة تعليمية، ودارا لإطعام وإيواء الفقراء والمحتاجين وعابري السبيل، ومركزا في بعض الأحيان للثورة ضد السلطة العثمانية، ومزارا أو قبة للشيخ أو الولي الصالح**»[37].

فهذا التنوع شمل جميع وظائفها، فهي مركز للجهاد وتعبئة الناس أيام الحرب، وحينما يستتب الأمن ويطرد الغزاة، تتجه نحو التعليم و العبادة والخدمة الاجتماعية، أما تحولها إلى مركز للحضرة

والزيارات والزردات، فهي أسوأ مرحلة تصل إليها الزاوية، وذلك بموت الشيخ العالم وانتقال السلطة فيها إلى وارث لا علاقة له بالعلم والمعرفة.

وقد ازدهرت الزوايا العلمية في العهد العثماني ازدهارا كبيرا، مقارنة بالفترة السابقة والتالية لها، واعتمدت في مداخيلها على الهبات والصدقات والأوقاف الفردية، لأن الدولة قد نأت بنفسها عن دعم التعليم عموما بما فيها تعليم الزوايا« **باستثناء بعض المحاولات الفردية كمحاولة الباي محمد الكبير، وصالح باي لكنها محاولة فردية نابعة من الشعور الديني، وتفتقر إلى الضبط والتخطيط**»[38].

فالتعليم في الزاوية تعليم مجاني، يمكّن منه كل من أراد ذلك دون تفريق أو تمييز بين صغير أو كبير أو غني أو فقير، ويشرف عليه شيخ الزاوية بنفسه، ومعه المساعدون من طلبته أو بعض من يستعين بهم من العلماء والفقهاء والمدرسين، وتعرف الزوايا العلمية نشاطا متميزا وانضباطا صارما، بيد أن نشاطها التعليمي مقصور على العلوم الدينية واللغوية، كالقرآن الكريم وقراءاته وتفسيره، والحديث النبوي الشريف وعلومه، والتوحيد والفقه وأصوله، والنحو والبلاغة والأدب، ومحتوى منهاجها التربوي قارلا يطرأ عليه أي تغيير أو تعديل غالبًا، يعتمد على متون مختارة في كل فن، مقرونة بالشروح والحواشي الموضوعة عليها.

2. 3 - مرحلة التراجع والتقهقر:

تعد المرحلة الاستعمارية للجزائر نكسة على جميع الأصعدة، وفصل أسود في تاريخ الاستعمار الفرنسي، فقد خلف دمارا هائلا في جميع نواحي الحياة،، ومن أبرز ما عطلته الآلة الاستعمارية - في الجزائر- الجانب الثقافي والعلمي، إذ أطلق كثير من الفرنسيين تصريحات عن الوضع الذي آل إليه التعليم في الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية، تبين مدى الضرر الناجم عن السياسة الاستدمارية، الهادفة إلى

سلخ الجزائري عن كل مقومات هويته، يقول مارسيل ايمريت (Marcel Emerit): **«كان العربي قبل 1830 يعرف القراءة والكتابة، ولكنه أصبح يتخبط في ظلمات الجهل عندما مضى نصف قرن من الاحتلال»**[39]، وهذا ما عبر عنه دي طوفيل بقوله:**«إننا جئنا لإضاءة الشموع فأطفأنا الموجود منها»**[40].

وقد انعكست آثار السياسة الاستعمارية على الزوايا سلبا، وخصوصا الزوايا التي كانت سببا في الحراك الثوري بشقيه؛ الثقافي والعسكري. فالمقاومة الشرسة والمتواصلة التي لقيتها فرنسا في كل المناطق الجديدة التي تحاول السيطرة عليها – كمنطقة القبائل والغرب والجنوب ومنطقة الأوراس - ألفتت نظرها صوب المحرك الرئيس للمقاومة، فقد كان أثر الزوايا في المقاومة باديا، مما جعل فرنسا تصوب مدفعيتها العسكرية والقانونية والإغرائية نحوها.

ويمكن إبرازدور الزوايا في هذه المرحلة كالآتي:

2. 3. 1 - المقاومة العسكرية:

تمتد هذه المرحلة من الدخول الفرنسي إلى الجزائر، إلى السيطرة التامة على كافة التراب الوطني، حيث وقفت الزوايا في وجه الاستعمار، ودعمت المقاومة، وساهمت في إذكاء روح الجهاد في نفوس الشعب، بداية بثورة الأمير عبد القادر(1832 - 1847)، مرورا بثورة المقراني والحداد، وثورة الأوراس وبقية ثورات الجنوب، وصولا إلى ثورة بوعمامة (1881 - 1904)، فأغلب هذه الثورات قام بها رجال الدين المنتسبين للزوايا، يقول أبو القاسم سعد الله عن زوايا هذه المرحلة:**«كانت الزوايا ما تزال في قوتها، وما يزال في استطاعة أشرافها ومرابطيها تكبيد العدو خسائر فادحة، وجمع جموع الأتباع بالآلاف[...] فرغم سمعة المقراني ومكانته، فإنه لم يستطع أن يجند الناس للثورة، إلا بالاعتماد على الشيخ الحداد، فرجل الدين هو المحرك للانتفاضات وليس رجال الدنيا، وإذا رغب أحد هؤلاء في**

الثورة فإنه كان عليه أن يبحث عمن يجند له الجمهور من رجال الدين»[41].

فقد تحول الشيوخ وطلبتهم إلى مرابطين ومجاهدين، وأعلنت حالة الطوارئ في الزوايا، وعطل الجانب التعليمي فيها، وأضحى شغلها الشاغل طرد المحتل، مما جعل فرنسا - بمجرد سيطرتها على الثورة- تسلط غضبها وانتقامها على الزوايا، فتقوم بهدمها أو غلقها أو مصادرة أوقافها.

وهذه الإجراءات الانتقامية جعلت الزوايا العلمية تراجع طريقة تعاملها مع العدو، حيث غيرت ميدان المعركة بعد فشلها في الصراع العسكري، واتجهت نحو المقاومة الفكرية والثقافية.

2. 3. 2 - المقاومة الثقافية:

حاولت فرنسا منذ وطئت قدمها تراب الجزائر طمس الهوية الوطنية، والإعفاء عن الانتماء الحضاري للجزائريين، تمهيدا لاعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية، بيد أنها اصطدمت بالحواجز الثقافية العصية عن الانصياع للهيمنة الاستعمارية، فالدين واللغة والوطن والعادات والتقاليد، ومن وراء هذا مؤسسات وجمعيات تغذي المكون الإيديولوجي والروافد الحضارية المجسدة لموضوع الهوية.

وقد كان الاستعمار مدركا لخطورة التباين الثقافي في المستعمرة الجديدة، فأعد العدة لفرض الواقع الجديد، وإحلال مكونه الإيديولوجي والثقافي على حساب الأهالي، وأقصر طريق إلى هذا: السيطرة على التعليم وإقصاء المؤسسات المحلية، وفرض نظام تعليمي فرنسي بالترغيب والترهيب.

ومن ثم سعت فرنسا إلى السيطرة على التعليم وتوجيهه، لضمان أمنها الفكري في الجزائر، وإزاحة المكون الثقافي الجزائري من جميع المجالات الرسمية، ولتحقيق هدفها هذا سعت إلى القضاء على الزوايا والكتاتيب، وتأسيس مدارس خاضعة للرقابة الفرنسية، فقد جاء في تقرير عامل عمالة وهران إلى الحاكم

العام: «**للوصول إلى رفع عدد تلاميذ المدارس العربية الفرنسية هناك إجراء واحد، هو القضاء كليا على الكتاتيب الموجودة في المدن، حيث يكون بالإمكان تأسيس مدارس عربية وفرنسية**»[42].

والغرض من نشر هذا التعليم بين عدد أكبر من التلاميذ يتجلى في الآتي:

- وأد التعليم العربي الإسلامي الخارج عن السيطرة الفرنسية، أو محاصرته في المدن والقرى قدر الاستطاعة، وذلك بوضعه تحت الرقابة.

- إتمام فرنسا لسياستها التفريقية التي تهدف إلى إحداث شرخ في جسم المجتمع الجزائري؛ وذلك بالاهتمام بتعليم سكان منطقة القبائل، وإنشاء عدد كبير من المدارس بالمنطقة دون غيرها، ومنها مدارس الآباء البيض، وهي فرنسية الشكل والمضمون، الحديث فيها لا يتم إلا باللغة الفرنسية أو البربرية.

- تحقيق الأمن واستكمال العملية التوسعية الاستعمارية في بقية التراب الجزائري، يقول الدوق دومال Doc Dumale:«**إقامة مدرسة للجزائريين أحسن وأفضل من كتيبة عسكرية لغرض الأمن والتغلغل داخل الجزائر، فهو الذي سمى نظريته هذه بسياسة " ضمان توجيه الأفكار" أما بيدو Bedeau سماها: الاستيلاء على إدارة التعليم وتوجيهه**»[43].

فالسلطة الاستعمارية بهذا تحاول أن تجد البديل للتعليم العربي الإسلامي الذي تحاربه، ولكنها حطمت التعليم القائم وتركت الجهل يفترس الجزائريين ليسهل لها بعد ذلك إخضاعهم، يقول أوجين فور ميسترو في سنة 1880: «**لقد فرطنا في تعليم الأهالي حتى نزل إلى مستوى هو أدنى بكثير مما كان عليه قبل الاحتلال**»[44].

لم تكتف الإدارة الفرنسية بمحاربة الزوايا والكتاتيب، بل عملت على إزاحة اللغة العربية من جميع المجالات الرسمية، في الوثائق أو المستندات الإدارية، فجميع الوثائق مرفوضة إن

لم تكن بالفرنسية، «والغرض من ذلك خلق بيئة فرنسية أمام الجزائريين وذلك بتغيير أسماء المناطق وجعلها فرنسية، وأسماء الشوارع وجميع المرافق كانت بالفرنسية، حتى يكون لفرنسة التعليم سند قوي في فرنسة الإدارة والمحيط الاجتماعي»[45].

ثم عززت عملها هذا بترسانة من القوانين الرادعة لكل من يحاول نشر أو استعمال لغة غير اللغة الفرنسية، جاء في تقرير رسمي فرنسي صدر سنة 1849: «لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة، فإن قضاءنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تصدر – بأعظم ما يمكن بسرعة- جميع البلاغات الرسمية، بها تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإن أهم الأمور التي يجب أن يعتنى بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة على عامة الجزائريين، الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا، وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين...»[46].

وقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية لجميع الجزائريين في الإدارة والتعليم، دون فرق بين منطقة وأخرى، لكن الاستعمار عمل على تفريق الصفوف ليصفو له ولثقافته الجو، وهذا ما قرره المقدم الإداري لدائرة تيزي وزو في رسالة إلى الحاكم العام سنة 1873 يقول فيها: «لتعليم هذا الشعب القبائلي: يجب إلغاء الوسيط العربي...لأنه كان حتى الآن ضارا أكثر منه نافعا، وبكلمة واحدة أن نكلمه بلغته، أو نعلمه لغتنا... وأقصد اللغة الفرنسية لأنني أعتبرها سهلة التطبيق، أما فيما يخص الزوايا فيجب إسقاطها نهائيا وبجميع الوسائل من منطقة القبائل،لاستبدالها بمدارس بلدية فرنسية»[47].

فالجزائري بموجب ما سبق مخير بين العجمة أو الأمية، مما يبعده تدريجيا

عن انتمائه الحضاري، وليكون الطريق أمامه معبدا، ليدخل حظيرة المسخ الاستعماري.

ومن هنا تبنت بعض الزوايا المقاومة الثقافية، وجعلت القرآن الكريم وعلوم اللغة والعلوم الدينية محتوى برنامجها التعليمي، فقد« تجلى دورها في الحركة الثقافية، خاصة الجانب التعليمي من خلال نشاطاتها المختلفة كتلقين العلوم الدينية واللغوية والأدبية وتوجيه الطلبة نحو المدارس المجاورة مثل القرويين(فاس) الزيتونة(تونس) وهناك من يتعداها إلى الأزهر الشريف(مصر) ويؤكد مقدم التحفة الرضية أن الزوايا تحتل الصدارة بين مختلف المراكز الثقافية في تثقيف المعوزين والفقراء والمتعطشين للعلم»[48].

كما كانت سياسة التعليم الفرنسية سياسة تفريقية تهدف إلى إحداث شرخ في جسم المجتمع الجزائري، عن طريق الاهتمام بتعليم سكان منطقة القبائل وإنشاء عدد كبير من المدارس بالمنطقة دون غيرها، ومنها مداس الآباء البيض، وهي فرنسة الشكل والمضمون، الحديث فيها لا يتم إلا بالفرنسية أو البربرية. بيد أن الطريق أمام فرنسا لم يكن معبدا في منطقة القبائل أو غيرها، مما جعل الدوائر الاستعمارية تعيد النظر في سياستها، وبعد أن تأكدت أن القرآن الكريم هو أساس الهوية الجزائرية، وبقاؤه بين الأهالي خطرعلى سياستها، وهو يستمد وجوده من الكم الكبير للمساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب، فعمدت أولا إلى مصادرة الأوقاف التي تعد مصدر دخل لهذه المؤسسات التعليمية، ولكن الشعب الجزائري استمر يدعمها عن طريق الزيارات السرية، فاتجهت أنظار المستعمرنحوهذه المؤسسات، فصادرت كمّا كبيرا منها وهدمت بعضها، قصد القضاء على الدين الإسلامي، والتمكن من الأهالي[49].

وفي ظل هذا الوضع الجديد انحصرت نشاطات الزوايا العلمية في تحفيظ القرآن الكريم وعلومه، والفقه وأصوله،

واللغة العربية وعلومها، والتاريخ الإسلامي. وسنبين ذلك من خلال الآتي:

- القرآن الكريم وعلومه:

اهتمت الزوايا العلمية بالقرآن الكريم وعلومه عناية، تجلت في تحفيظه للصغاروالكبارعلى السواء، فأول ما يبدأ به الطالب الجديد- إن لم يكن حافظا للقرآن- حفظ كتاب الله على يدي شيخ حافظ، يتابعه في الحفظ والضبط، والرسم القرآني.

ومن بين الزوايا العلمية التي واصلت كفاحها الثقافي بعد الاحتلال، واشتهرت بالقراءات القرآنية وتفسير كتاب الله، زاوية ابن إدريس، وزاوية عبد الرحمان اليلولي، فقد كانت هذه الأخيرة منارة من منارات العلم اشتهرت بالقرآن وقراءاته، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد وجود عدد كبير من الزوايا مختص في القراءات القرآنية، فقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن هانوتو ولوتورنو وجدا -في منطقة القبائل وحدها- تسعة عشر زاوية متخصصة في الدراسات القرآنية، ومنها: زاوية سيدي محمد بن عبد المالك بتفريت، وزاوية عروس وزاوية عدني في بني ايراثن، وزاوية الشرفة في بني بوخالفة... وغيرها[50].

فالقرآن الكريم هو عصب التعليم في الزوايا؛ إذ لا تكاد تجد زاوية علمية دون تعليم قرآني، فهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، ويمثل قطب الرحى في تشكيل الهوية الإسلامية.

- الفقه الإسلامي:

يعد الفقه الإسلامي بمختلف مدارسه وتوجهاته مصدرا ثريا للقانون المنظم للعلاقات الفردية والاجتماعية الدينية والدنيوية، في المجتمع الإسلامي، وقد اعتنى به الفقهاء المسلمون ووضعوا له الأصول وقعّدوا القواعد التي تضبط الاجتهاد وتضمن سلامة الأحكام، مما أضفى على المجتمع المسلم أينما كان طابعا إسلاميا خاصا، لفت أنظار المستعمر الفرنسي حينما دخل الجزائر، وفي هذا يقول ليونار بارليت L. Barlite أثناء حديثه عن بلدة دراع الميزان- وقد

عمل فيها طويلا- قائلا: «**إن الإسلام هنا منطبع ومنقوش العمق، مما يجعل إزالته ليس بالأمر الهين في المدى القريب**»[51].

وفي سبيل محاربة الإسلام وتوجيه بوصلة التشريع الإسلامي في الجزائر صوب القانون الفرنسي، أنشأت فرنسا المدارس الشرعية لتخريج مدرسين وقضاة وأئمة خاضعين للإدارة الفرنسية، يسهل توجيههم والتحكم فيهم، كما تستغلهم كأداة لتضييق الخناق على التعليم الموجود في المؤسسات التعليمية القائمة، وقد كانت الزوايا بين مراكز العلم المستهدفة؛ إذ ضيقت فرنسا عليها ماديا ومعنويا، لتفسح المجال أمام خريجي معاهدها، يقول توفيق المدني: «**فإن كل الدلائل تدل على أن الفرنسيين قد خططوا لعرقلة التعليم في الزوايا ومنافسته ووضع الشروط المضادة له وسحب التلاميذ منه وعدم التوظيف من خريجي الزوايا**»[52]

وقد واجهت بعض الزوايا هذا المسخ الاستعماري بمواصلة تدريس الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك، وتنوعت الكتب التي تدرسها بين منظومات ميسرة مخصصة للمبتدئين، كابن عاشر والعبقري، وأخرى موجهة للمتوسطين، كرسالة ابن أبي زيد القيرواني، وأسهل المسالك وأقرب المسالك، وأخيرا المتون المطولة الموجهة لكبار الطلبة، كمختصر خليل.

ومن بين الزوايا التي واصلت تعليمها للفقه والقرآن في الحقبة الاستعمارية، الزاوية السحنونية، وزاوية آيت الحاج، وزاوية آيت عمر في تمازيرت ببني إيراثن، وزاوية الشرفة وزاوية القواضي، وزاوية طولقة وزاوية الهامل ببوسعادة[53]، وتعد هذه الأخيرة من أشهر الزوايا العلمية وأكبرها في المنطقة، فقد كانت وجهة للطلبة من أماكن شتى، لتنوع وخصوبة تعليمها، فهو«**يقلد برنامج الزيتونة وأمثاله، فهناك مراحل ومستويات من الابتدائي إلى الدروس العالية**»[54]

في مرحلة الخمسينيات. ينظر: الموسوعة الحرة ويكيبديا.

28 -ينظر: محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط10، 1998، ص 25.

29 -جمعها الناظم في قوله:

ضرر يزال وعادة قد حكمت ...

وكذا المشقة تجلب التيسيرا

والشك لا ترفع به متيقنًا .....

وخلوص نية إن أردت أجورا.

ينظر: محمد مصطفى الزحيلي: القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر، دمشق، ط01، 2006، ج01، ص 32.

30 -محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ج 01، ص 343.

31 -ينظر: المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1997، ج04، ص 22.

32 - مؤيد صلاح العقبي: الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر، دار البراق، لبنان بيروت، د ط، 2002، ص 302.

33 - ينظر: أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 02، 1979، ص 176.

34 -ينظر: محمد ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 409 - 413.

35 -ينظر: ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصاروعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، (د ط)، 1996، ج01 ، ص 192، 196، 266، ج02، ص 17.

36 -ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص-262 266.

37 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي: ج01، ص 268، 269.

38 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص314.

39 -مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، (د ط)، 2007، ص414.

40 - يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2005، ص 110.

41 -أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، ص55.

42 -عبد القادر حلوش: الجمهورية الثالثة والتعليم الفرنسي في الجزائر، مجلة الشهاب الجديد، العدد 03، المجلد03، السنة 03، الجزائر، 2004، ص 56.

43-Georges voisin: Lalgérie pour Les Algériens, Michel, Lévy Fréres-Libraires, Editeurs, paris. 1861. p: 45.

44 -مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، ص 414.

45 - عبد الباسط دردور: أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي، دراسة وصفية تحليلية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا،ط01، 2002، ص 142.

46 -رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص108.

47 -عبد الباسط دردور: أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي، ص 286.

48 -كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور(1850 - 1951) مذكرة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2007 /2008، ص 22.

49 -ينظر: كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور، ص40، 42.

50 -ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، ص 176.

51 -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، ص 210.

52 -توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار الكتاب، الجزائر، ط02، 1963، ص351.

53 -ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، ص 205، 217..

54 -أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، ص 222.

55 -مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، ص 416، 417.

56 -مختارية تراري: التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر .http://insaniyat crasc.dz/index.php/ar

57 -ينظر: درام الشيخ: النظم التعليمية في الزوايا: زاوية الهامل أنموذجا، مذكرة ماجيستر، جامعة سطيف 02، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2012 - 2013، ص 91 - 95.

زاوية في حماية الزوايا
«دور الزوايا في حفظ العقيدة واللغة»

بقلم: أ. سي حاج محند. م.طيب
أستاذ باحث

تمهيد:

لم تكن الزوايا معروفة في صدر الإسلام، أو على الأقل لم تكن معروفة بهذا الاسم وبهذا المدلول؛ وإن كان بعض الباحثين ألحق بها الصفّة المعروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. ظهرت باكرا في المشرق باسم الرباطات. والهدف منها حراسة دار الإسلام من العدو. أما في المغرب الإسلامي فقد ظهرت حوالي القرن الرابع أو الخامس الهجري باسم "الزاوية" في الغالب. ويرى بعضهم أن الأصل في ذلك اتخاذ بعض العلماء زاوية من المسجد لعقد حلقة خاصة به يقدم فيها دروسه، سيما إذا كان على اختلاف في بعض المسائل مع صاحب الحلقة الرئيسية. ثم خرجت من المسجد إلى أماكن أخرى، فالانعزال والانزواء خارج العمران؛ ابتعادا بالطلبة عما يمكن أن يشغلهم عن طلب العلم.

هدف الزوايا

يختلف هدف الزوايا عن هدف "الرباطات"،وذلك بجعل طلب العلم وحفظ القرآن هدفا رئيسيا بالإضافة إلى الاستعداد للدفاع عن دار الإسلام، متى تطلب الأمر ذلك. وبذلك كانت مهمة الزوايا أوسع وأنجع من مهمة الرباطات. حيث تستغل الوقت الثمين للمنتسبين إليها في أعزما يكتسب ألا وهو طلب العلم. وليس هذا فحسب بل أصبحت الزوايا مصانع تصنع فيها العقول، ومزارع تغرس فيها المواهب التي ستعطي للبشرية الكثير والكثير جدا؛ فلولا تلك الزوايا لضاعت تلك المواهب وقبرت تلك العبقريات، وحرمت منها البشرية.

وبما أن الإحاطة بموضوع الزوايا متعذر في هذه العجالة، رأينا أن نتناول منطقة "زواوة" كنموذج؛ لأن الزوايا في الجزائر متشابهة في التنظيم والتسيير، ومتوحدة في الاتجاه والغاية؛ إذ الكل يهدف إلى الحفاظ على الدين واللغة العربية التي لا يفهم إلا بها.

أنواع الزوايا بمنطقة زواوة

أولا ينبغي تصحيح فكرة شائعة وهي أن منطقة "زواوة" تحمل هذا الاسم لكثرة الزوايا فيها. وهذا خطأ تاريخي فادح؛ ذلك أن "زواوة" قبيلة قديمة من قبائل البربر الأمازيغ، وهي موجودة قبل الإسلام بقرون.

أما أنواع الزوايا بالمنطقة فهي كما يلي:

1 - زوايا تكتفي بتعليم القرآن فقط. وهذا لافتقارها لمن يضطلع بمهمة تقديم الدروس في مختلف الفنون والعلوم. وبذلك يتخرج روادها حافظين للقرآن الكريم بكل إتقان، ولكنهم لا يكادون يفقهون منه شيئا. ولعل النكتة التالية تبين لنا مدى فهم هؤلاء لمعاني القرآن الكريم.

تقول النكتة: كان إمام في قرية ممن يحفظون القرآن ولا يفهمونه. وذات يوم صلى بالناس وقرأ سورة الغاشية في صلاته. فلما سلم من صلاته التفت إلى المصلين وكله خشوع وتأثر وإعجاب فقال لهم: فكروا ووحدوا الله وعظموه؛ فإن كلامه لم يترك أي شيء لم يذكره وحتى لُعب الأطفال.حيث قال: «أفلا ينظرون إلى الإبلِ كيف خلقت». مشيرا بيده إلى لعبة الكويرات، موضحا إشارته بقوله: نعم ..نعم.. حتى [لِبِلْ] الأطفال... فانتقلت موجة الخشوع والتأثر والإعجاب إلى الحاضرين فَاخذوا يرددون: «سبحان الله..سبحان الله..». ومع ذلك فإن هذه الزوايا قدمت . مشكورة . خدمة جليلة للدين وهي المحافظة على كتاب الله عز وجل في صدور الأجيال، رغم قلة الإمكانات.

2 - زوايا تجمع بين تحفيظ القرآن وتقديم الدروس في الفقه واللغة العربية حسب الإمكانيات المتوفرة لديها، وغالبا

13 -عبد الكريم بكار: نحو فهم أعمق للعالم الإسلامي، ص 30.

14 -عباس محمد العقاد: التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 57.

15 -سورة العلق: الآية 01.

16 -ينظر: مايكل هاملتون مورجان: تاريخ ضائع التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفنانيه، نهضة مصر للنشر والتوزيع، مصر، (د ط)، (د ت)، ص 50.

17 -عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ص58.

18 -ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص 267.

19 -ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص 270 - 334.

20 -طيب جاب الله: دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، العدد14، أكتوبر، السنة 08، 2013، ص 144.

21 -يوسف زناتي: الهوية الثقافية في الموسيقى الجزائرية فرقة نجوم الصف سبدو تلمسان أنموذجا، رسالة ماجيستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ص 56.

22 -سورة البقرة: الآية 03.

23 -السيد سابق: عناصر القوة في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1983، ص11.

24 -وهذا مصداقا لقوله تعالى: **[وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا]** (سورة الإسراء: الآية 23)

25 -يوسف زناتي: الهوية الثقافية في الموسيقى الجزائرية، ص 57.

26 -سورة هود: الآية 112.

27 -هنري برغسون (18 أكتوبر 1859 - 4 يناير 1941)، فيلسوف فرنسي. حصل على جائزة نوبل للآداب عام1927. يعتبر هنري برغسون من أهم الفلاسفة في العصر الحديث، كان نفوذه واسعا وعميقا فقد أذاع لونا من التفكير وأسلوبا من التعبير تركا بصماتهما على مجمل النتاج الفكري

الخاتمة:

بهذا الالتحام الرائع العجيب بين الزوايا والسكان نجت المنطقة من التمسيح الذي حُبكت حلقاته بإحكام، وبخبرات من دهاقنة الاستدمار، المتمرسين على المكر والغدر والاحتيال، ونجت لغة القرآن من الاندثار والاضمحلال. فلولا التفاني والتضحية من قبل الزوايا لما بقيت للاسلام بالناحية بقية، ولا سمعت للغة العربية كلمة، بعد أن شن الاستدمار عليهما حربا شعواء، يغذيها الحقد والكراهية والمكر والخداع.

ولكن الزوايا احتضنت الشعلة وحمتها من الانطفاء بكل ما تملك من وسائل الحماية؛ فكل من تعلم العربية وتفهّم الدين إنما هو نتاج هذه الشعلة. فلو انطفأت هذه الشعلة لما كان لأحد منا تقريبا أن يعرف للإسلام قيمة ولا للعربية معنى. هذا هو السر في هذه المعجزة التي تحطمت دونها كل أمواج الظلم والعدوان، حتى تسلمت دولة الاستقلال الشعلة المباركة، فأفردت لها وزارة بأكملها. والحمد لله على نعمة الإسلام ونعمة الاستقلال. وعاشت منطقة زواوة وكل الجزائر في حفظ الله وحماية الزوايا.

الخاتمة:

بهذا الالتحام الرائع العجيب بين الزوايا والسكان نجت المنطقة من التمسيح الذي حُبكت حلقاته بإحكام، وبخبرات من دهاقنة الاستدمار، المتمرسين على المكر والغدر والاحتيال، ونجت لغة القرآن من الاندثار والاضمحلال. فلولا التفاني والتضحية من قبل الزوايا لما بقيت للاسلام بالناحية بقية، ولا سمعت للغة العربية كلمة، بعد أن شن الاستدمار عليهما حربا شعواء، يغذيها الحقد والكراهية والمكر والخداع.

ولكن الزوايا احتضنت الشعلة وحمتها من الانطفاء بكل ما تملك من وسائل الحماية؛ فكل من تعلم العربية وتفهّم الدين إنما هو نتاج هذه الشعلة. فلو انطفأت هذه الشعلة لما كان لأحد منا تقريبا أن يعرف للإسلام قيمة ولا للعربية معنى. هذا هو السر في هذه المعجزة التي تحطمت دونها كل أمواج الظلم والعدوان، حتى تسلمت دولة الاستقلال الشعلة المباركة، فأفردت لها وزارة بأكملها. والحمد لله على نعمة الإسلام ونعمة الاستقلال. وعاشت منطقة زواوة وكل الجزائر في حفظ الله وحماية الزوايا.

محطات
من حياة الشيخ سيدي محمد بن لكبير رحمه الله

مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار

ولد المحروس بعناية الله المرحوم سيدي محمد بن الكبير سنة 1911 م بالغمارة قرية من قرى بودة التي تقع غرب مدينة أدرار.

كان والده رحمه الله من حفظة كتاب الله، وكان عمه إماما ومعلما بمسجد القرية، وكان خاله فقيها ورعا، وفي هذا الجو المفعم بعبق العلم نشأ شيخنا الجليل فحفظ القرءان الكريم والمبادئ الأولية في الفقه واللغة العربية في سن مبكرة،

فما إن ناهز البلوغ حتى انتقل به والده رحمه الله تعالى إلى بلدة تمنطيط التي كانت عاصمة العلم آنذاك بإقليم توات حيث تلقى فيها ما قدرله من العلوم الشرعية والعربية من توحيد وفقه وحديث وتصوف وتفسير وآداب ونحو وصرف على يد العلامة الشيخ سيدي أحمد ديدي: عالم وقته ومصباح زمانه رحمه الله، فمكث عنده ثلاث سنوات

كانت له أثناء طلبه للعلم بتمنطيط اتصالات عديدة بعلماء وقضاة المنطقة مثل سيدي عبد الكريم البلبالي الفقيه، والشيخ بوعلام «بملوكه» والشيخ القاضي سيدي محمد بن عبد الكريم البكري ابن عم سيدي أحمد،... وغيرهم من علماء الإقليم للمذاكرة معهم والاستفادة منهم والبحث عن المشكلات

العلمية التي قد لا يتمكن من مراجعة الشيخ فيها.

سافر شيخنا إلى مناطق عدة من الوطن وخارج الوطن معلما ومتعلما مفيدا ومستفيدا مثل جامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس و الأزهر بمصر وترك بصمات لا تمحى بعوامل الزمن في كل من المشرية ولعريشة وتيميمون و أدرار.

حيث كان ارتحاله إلى قرية العريشة ثم المشرية بطلب من أهلها ليعلمهم القرآن وعلوم الشريعة فلبى طلبهم وانتهض بتعليم البنين القرآن الكريم والعلوم الشرعية خمس سنين قضاها بجد و اجتهاد و تفان، كللت جهوده بما خلفه من بعده من أئمة و معلمين حملوا من بعده رسالة التعليم و إمامة المساجد و الجماعات،

رجع إلى مسقط رأسه بطلب من والده بعدما كبر سنه. وخلال استقراره ببودة كان يقوم بوظيفة التعليم و الوعظ والإرشاد ،

وارتحل إلى مدينة تيميمون بطلب من أعيانها فافتتح بها مدرسة لتعليم القرآن و علوم الشريعة، وكان طليعة طلابه تجار مدينة تيميمون حينها، كان يقوم بتدريسهم صباحا، ثم يتفرغ للأطفال يحفظهم القرآن ويدرسهم العلوم الإسلامية بحسب سنهم ومداركهم العقلية،

استجدت ظروف حتمت عليه العودة إلى مسقط رأسه قفل راجعا إليها، و بها بدأ عمله التعليمي من جديد، و بعد عامين قضاهما هناك بها استدعي من طرف أعيان مدينة تيمي أدرار حاليا للقيام بمهمة الإمامة و التعليم القرآني، فلبى طلبهم و ذلك في حدود سنة 1371هـ/ 1950م، فقام رحمه الله بمهمة الإمامة، و تولى الخطابة والتعليم القرآني بالجامع الكبير، ثم أنشأ المدرسة الدينية، وهذه المحطة كانت محطته الأخيرة التي سمحت بتشييد صرح ديني وعلمي بدأ ينمو تدريجيا متخذا من المسجد والمدرسة

وعاء احتضن الطلبة من كل أنحاء الوطن ومن الخارج خاصة (ليبيا ومالي والنيجر وموريتانيا) .

احتوت المدرسة في عهده ما يربو على 1200 طالب في نظام تربوي داخلي وخارجي .

فكان طلبته سفراء أسسوا دعائم الوسطية والاعتدال، والتعليم والإصلاح أينما حلوا وارتحلوا وأقاموا للعلم مدارس هي اليوم عامرة بفضل الله ترسم مسارها وفق ما رسمه الشيخ من منهج للتعليم والتدريس. وفي صمت عديم النظير بعيدا عن الأضواء.

استمرت حياته معلماً ومرشداً ومربياً ومواصلا ليله بنهاره لا يمل إلى أن وافته المنية في يوم 15 /09/ 2001 م رحمه الله تعالى تاركاً للأمة صرحا علميا شامخا وآلاف الأئمة في مختلف أنحاء المعمورة داخل الوطن وخارجه يمثلون رمز الاعتدال والوسطية في التصور والاعتقاد.

قصيدة: «فَوَاحُ العِطر بنَواحِي القُطر»

بقلم: الشاعر فيصل حمّوش

1 -أأدرار المكـــارم نِلتِ حسناً *** كحسنِ الشَّمسِ في وقتِ المَغيبِ

2 - وفي الشِّلفِ الحبيبةِ ونشريسٌ *** به ذُدنا عنِ الوطَنِ الحَبِيبِ

3 - إذا ماالقلبُ حُرِّك فيه شوقٌ *** فيَمّم نَحو أغواطِ الجنوبِ

4 - وبِـــرَّ بِأُمّنَا أمِّ البَـــواقِي *** فبرُّ الأمّ مـن تَقْوَى القُلُوبِ

5 - وباتنـــةٌ كفَاتِنـــةٍ تَـراءت *** وأوراسُ الأشـاوِس ذو لَهِيـبِ

6 - وأبْلِغ تَائِهاً ببـــلادِ كُفـرٍ *** بِسِرٍّ في البِجَايـةِ يا حبيبي

7 - نزلنـا واديَ الزّيبـانِ لُهفـاً *** نتُوقُ لتَمرِ بسكـرةَ الرّطيـبِ

8 - فألفينـا ببشـارٍ أسُـوداً *** قَسَاورةً بِسـاورةَ الحَبيبِ

9 - بُليـدةُ زُيّنت بصُنُـوف وردٍ *** كَسَاهَا حُلّـة الـرَّوضِ الخصِيـبِ

10 - وعند بُويرةِ الأبطـال فانـزِل *** نُـزولَ مُحَـاذِرٍ لَبِـقٍ أريبِ

11 - وفي الصّحـراءِ جوهرةٌ تسمّى *** بتامنغست في أقصَى الجنُـوبِ

12 - تبسّـة مسّنـا داءٌ وضـرٌّ *** فكنتِ لِدائنا مثـل الطَّبِيـبِ

13 - تلمسانَ الحضـارةِ أعذرينا *** وغُضي الطّرف عن شطَط الرَّقيبِ

14 - وفي تيهرت خيلٌ مسرجاتٌ *** مُعطّـرةٌ بِبَـارودٍ وطِيـبِ

15 - بتيزي الخيرِ إنـزل في أمـانٍ *** وسلْ عن شِعرِ موحنـد الأديـبِ

16 - فعاصِمـةٌ وما أدراكَ قـدراً *** يُشَـدُّ لحُسْنها رحـلُ الغريـبِ

17 -بعاصمةِ المكارمِ همتُ حبًّا *** فجلفة في اللّسانِ وفي القُليبِ

18 -بشطّ البحرِ جِيجل إن تراها *** فسَبّح باسمِ خَالِقها المُجيبِ

19 -وفي أعلى الهضابِ ديارُ عِزٍّ *** سألتُكِ ياسَطيف فهل تجيبِي

20 -شربنا في سعيدة من زلالٍ *** طَعِمنا خَيرها بَعد السُّغوبِ

21 - وهل تخْفَى سُكيكدةٌ عليكم *** فنخبركم عن السرّ العَجِيبِ

22 -وهل نُبّئتَ عن حسنٍ بديعٍ *** ببلعبّاسَ والأصلِ الحسيبِ

23 -فحدّث لاتخف حرجاً وإثماً *** بِبونةَ سُلوة القلبِ الوجيبِ

24 -وقالمةٌ تحيط بها جبالٌ *** بِماوِنة سَمعتُ صدى العَبيبِ

25 -قسنطين احتويتِ جسورَ وُدٍّ *** مُغَرّدةً بتَغرِيدٍ طَروبِ

26 -وظلّ التّيطِري حصنا منيعاً *** مُهاباً للعِدا رغمَ الحُروبِ

27 -وفي مُستِ الغنائم ثارقومٌ *** على الإسبان عُبّاد الصّليبِ

28 -وحُضنتنا المسيلة ماعتراها *** إذا أنصفتَ من أمْرٍ مَعيبِ

29 -معسكرُ أسَّسَت لقيام قُطرٍ *** بحكمِ أميرِ دولتنا اللبيبِ

30 -وورقلةٌ بها واحات نخلٍ *** وحاسي النّفط يُوقَد باللّهيبِ

31 -وحار العقل في وهران حقّاً *** فشاب الرأس من قبل المشيبِ

32 -أَبَيّضُ عهدكِ المحفوظ دوماً *** بِأنّك في العِدا لا لن تَذوبي

33 -طوارقنا قِراهم غير خافٍ *** نُقاة القلبِ أبيض من حليبِ

34 -فكم للبُرج سافَر من مُجِبٍّ *** ومامسّ المُسَافرَ من لُغوبِ

35 -وكم هبّت نسائم منعشاتٍ *** ببومرداس فانتكست كُروبي

36 -بأقصى الشرق طارف أنظرينا *** سَنَنزِل قَالةً عمّا قريبِ

37 -ونشربُ كوب شايٍ ياصديقي *** بِتندوفٍ بَعِيداً عن رقيبِ

38-ونَنزل غابةً في الحدّ حَفّت *** بتيسَمسِلت في الغربِ القريبِ

39 -ووادي السُّوفِ مَحفُوفٌ بأنسٍ *** وريغُ ازدان بالرّملِ الكَثيبِ

40 -بِخنشَلةٍ قضى عباسُ حرّاً *** لِنحيى بعدُ في عيشٍ رغيبِ

41 -أسُوق اهراس كنتِ عرين أُسدٍ *** وتاجِلتٍ إلى عَهدٍ قَريبِ

42 -وجوهرة السَّواحِل دُون فخرٍ *** تِبازةُ بَلسمَ الجُرحِ النّديبِ

43 -وأرّقني بأن لم أحضَ مِنكِ *** أميلة بالوِصَال وبِالقُروبِ

44 -فسلّى قلبيَ المحزون وادٍ *** بِهِ الدِّفلى على شكلٍ عجيبِ

45 -وأعجبتِ النّعامة من يراها *** فلَم تأبه لِغِرٍّ مُستعِيبِ

46 -تِموشنت ارفقي بهوى مُحبٍّ *** يعاني الوُجد مضطربٍ سليبِ

47 -ووادٍ للمِزاب قَديم عهدٍ *** شعانِبة الأصالة والعُروبِ

48 -لوادي المينا خاتمة النواحي *** بغيليزان فارحل يا حبيبي

49 -بلادي مالها في الأرض مثلٌ *** حَمَاها الله من شَرٍّ وحُوبِ

الإسراء والمعراج ...دعوة لنصرة القدس الشريف

بقلم: أ.د. سليمان ولد خسال

مداخلة ألقيت في ندوة علمية حول نصرة القدس الشريف بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج بتاريخ 27 رجب 1442هـ/ 11 مارس 2021
بدار القرآن-بئر مراد رايس، الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الإخوة الحضور، الإخوة الأفاضل، الأخوات الفضليات السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أولا أعتذر ممن هم في القاعة وخاصة من هم أكثر منا علماً وهذا لتواضعهم وجلوسهم للإنصات.

عنوان المداخلة: الإسراء والمعراج ...دعوة لنصرة القدس الشريف حاولت أن أقسم هاته المداخلة الى محورين اثنين أتحدث باختصار شديد في المحور الأول عن عملية تقصيدية للإسراء والمعراج وأنه حقيقة دعوة لنصرة القدس الشريف وبعدها سأحدثكم في المحور الثاني عن بعض الآليات التي ينبغي أن نعتمد عليها في نصرتنا لقضية القدس الشريف.

بالنسبة إلى المحور الأول والموسوم بتقصيد الإسراء والمعراج وأنه دعوة إلى نصرة القدس الشريف يمكننا كذلك أن نفصله من خلال برهانين: البرهان النقلي والبرهان التاريخي.

ماذا نقصد بالبرهان النقلي: نقصد به تلك النصوص التي جاءت من الوحي والتي تتحدث عن علاقة الإسلام بهاته الأرض المقدسة وهي القدس الشريف، فالقرآن الكريم كما تابعتم من خلال سورة الإسراء المولى عزوجل يتحدث عنها وقد سماها سورة الإسراء أو سورة بني

إسرائيل أي السورة التي تبدأ بقول الله عز وجل: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ إذن هناك علاقة وثيقة كما تلاحظون بين المسجد الحرام الموجود في مكة المكرمة وبين المسجد الأقصى الموجود في القدس الشريف، بالتالي فإن الله عزوجل وهو يتحدث عن هذا السفر عن هذه الرحلة النبوية فيها إشارة قوية على أن القدس من الإسلام وأنه ينبغي كذلك أن نحرص على الحفاظ على هذه الأرض مثل حرصنا على كل قطعة من أرض الإسلام

إن السنة النبوية تتحدث كذلك عن هاته القصة أو عن معجزة الإسراء والمعراج من خلال حديث المعراج، وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى من آيات الله عزوجل ما رأى، وفي ذلك دلالة على أن الإسلام جاء من أجل أن ينصر هاته القضية، وأنها كذلك من الدين، الحديث الذي يحفظه الناس : «تشد الرحال إلى ثلاث» تحدث عن المسجد الحرام بمكة وعن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وعن المسجد الأقصى في فلسطين، والصلاة في هذا المسجد لها كثير من الفوائد والتي تشير إلى أنها تعدل ألف صلاة؛ إذن معنى ذلك أن هذا المكان له مكانته الكبيرة وأنه ينبغي أن ينصر ونحن كما تعلمون في تاريخنا المغاربة الجزائر، وتونس عندما كانوا يحجون لا يمكنهم أن يحجوا إلا إذا مروا على القدس الشريف، وفي ذلك برهان ودلالة قوية على أن القدس له تلك المكانة الكبيرة، أيضا الحديث الذي يتحدث فيه النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي يعني تنصر هذا الدين هذا الحديث من حديث الغرباء كله يشير الى تلك الطائفة المرابطة في بيت المقدس والتي تدافع عن هذا المكان هذا باختصار شديد بعض العناوين في الحقيقة الذي عنونته بالبرهان النقلي.

أما البرهان التاريخي فهذا المكان تاريخيا كان لأهل فلسطين و بعد الفتوحات الإسلامية بقي لأهله الأصليين وأن الذين احتلوا هذه الأرض وهم اليهود في الحقيقة ليست لهم أرض لأن اليهود

في الحقيقة عوقبوا بالشتات وكانوا في أوروبا وكانوا في الحقيقة يمارسون الأذى ضد الأوربيين المسيحيين ولذلك أراد الأوروبيون أن يتخلصوا منهم فاختاروا لهم أماكن أي خيروهم في أماكن في أمريكا الجنوبية و في إفريقيا لكنهم اختاروا هذا المكان وهذا دليل على أنهم لا يملكون مكانا وإنما حاولوا أن يستعملوا وأن يستغلوا المعاني الدينية من أجل أن يقولوا الناس بأن مكاننا الحقيقي هو القدس والحقيقة أنها فرية كبيرة وينبغي أن ندرك أيها الأفاضل أن اليهود لهم من العلماء ولهم من المفكرين يعني من الطراز العالي ويمكنهم أن يبحثوا في التاريخ ويجدوا بعض الثغرات من هنا وهناك من أجل أن يستغلوها حتى يقنعوا الرأي العام الدولي ولكن هيهات ولهذا فإن الباحثين من علماء التاريخ يمكنهم أن يردوا على هذا الزعم يعني الفرية ويبرهنوا من خلال هذا المثال الذي ذكرته بأن القدس في الحقيقة إنما هي للمسلمين ولأصحابها الأصليين هذه في الحقيقة بعض النصوص أو بعض العناوين المتعلقة بالتأصيل الشرعي للإسراء والمعراج وأنه من خلال هذا التأصيل دعوة صريحة الى ضرورة نصرة القدس الشريف.

بالنسبة إلى المحور الثاني والأخير والمتعلق بآليات نصرة القدس الشريف في الحقيقة هناك آليات كثيرة جدا جدا يعني وسائل يمكننا من خلالها أن ننصر القدس الشريف نذكر منها على سبيل التمثيل وليس على سبيل الحصر أربع نقاط:

النقطة الأولى الذكرى أيها الأفاضل في حد ذاتها ما تسمى الآن بالذاكرة لأن نحن في الجزائر عندنا قناة تسمى القناة الثامنة سميت بالثامنة لأنها تذكرنا بذكرى مجزرة 08 ماي 1945 فيه دلالة من أجل أن نربط الأجيال بهذه الثورة كذلكم بالنسبة للقدس كلما جاء رجب كلما جاءت ذكرى الإسراء والمعراج العقل المسلم دائما عندما ينظر ذات اليمين وذات الشمال يجد الكثير من المآسي وعلى رأسها القدس الجريحة التي تعاني الأمرين فنحن دائما نذكر أبناءنا بناتنا عبر التاريخ حتى وإن ذهبنا يأتي من بعدنا

من يذكرهم بأن القدس لابد وأن تنتصر لابد وأن تعاد لها كرامتها وتعاد لها كذلك عزتها وهذا من خلال هذه الذكرى دائما نتحدث عن الإسراء والمعراج ونتحدث عن ما وقع في الإسراء والمعراج ثم نلتفت فإذا بفلسطين جريحة لابد وأن ننصرها إذن هذه الذكرى أو الذاكرة لابد منها ولا نستهين أيها الأفاضل قيمتها ولا نستهين بدورها المهم جدا لأن العقل الباطن هذا لابد أن تذكره دائما دائما تذكره بالتكرار تقول له بأن هناك مشكلة، هناك مشكلة نحن أبناءنا الآن يدركون بأن هناك مشكلة والذين يأتون من بعدهم يدركون كذلك بأن هناك مشكلة حتى يأتي نصر الله عز وجل ونصر الله قريب « إذا جاء نصر الله» : كما جاء في القرآن الكريم.

الآلية الثانية أيها الأفاضل الأكارم فوائد هذه الذكرى يمكننا أن نقسم هذه الفوائد الى قسمين: أما الفائدة الأولى أن الفرج أيها الأفاضل يأتي بعد الضيق وأن اليسر دائما يأتي بعد العسر لأن قصة الإسراء والمعراج أو حادثة الإسراء والمعراج في حقيقتها ماهي إلا الدرس لنا وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام وهو من هو المؤيد من عند الله عز وجل يصاب بأذى بحزن كبير كما تعلمون يعني عام الحزن تتوفى زوجته خديجة أم المؤمنين رضي الله عنه وهذا ليس بالأمر البسيط ثم سنده القوي جدا 40 سنة وهو يسانده عمه أبو طالب يموت في ذات السنة ثم يذهب الى أخواله الى قرابته في الطائف من أجل أن ينصروه وإذا بهم يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويرجع النبي في هذه الحالة الصعبة جداً ويدخل بصعوبة الى مكة المكرمة معلومة عندكم لكن بعد ذلك الله عز وجل يسليه يجازيه بهذه المعجزة العظيمة وهي الإسراء يعني يجعله يزور القدس الشريف ويلتقي بالأنبياء والمرسلين ويعرج صلى الله عليه وسلم في السماوات سماء سماء الى أن يصل الى مكان لم يصل اليه حتى جبريل عليه السلام وفي ذلك نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم وكأن هذه الحادثة تقول لنا بأن النصر سيكون ولو بعد حين فقط عليكم يا أيها المسلمون أن تصبروا يا أيها الذين

آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا والسر يأيها الإخوة الكرام، والسر أيها الأفاضل في حياتنا نحن الآن الصبر والتصبر مهما كانت هذه المشاكل مهما كانت هذه الآهات فإن ساعة النصر ستأتي كما جاءت كذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ربما يمكننا أن نستخلص كذلك شيئا ثانيا من فوائد هذه الذكرى الثبات على القضية الفلسطينية وأنه لا ينبغي وأن تنسى هذه القضية رغم أن البعض ربما يصل به القول الى اليأس ربما نتذكر أيها الأفاضل ما وقع في غزوة الأحزاب عندما حوصر النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أكثر من 10 آلاف مقاتل والنبي عليه الصلاة والسلام لا يملك المال ولا الغذاء ولا حتى العدد ويحاصر في المدينة المنورة وقد قال المنافقون والمرجفون وضعاف الإيمان قالوا لا يمكنهم أن ينتصروا وأن القاضية سوف تأتي وقد ظّن من ظّن وزلزل الصحابة زلزالاً شديداً رغم كل هذا الإيمان تصوروا معي تخيلوا معي لو كنتم أنتم و أنا معكم في ذلك المكان المزلزل زلزالاً شديداً وإذا بنصر الله عز وجل يأتي بعد حين إذن فالنصر لا شك أنه يأتي لكنه يأتي بعد الثقة في الله عز وجل كذلكم أيها الأفاضل هذه القضية الفلسطينية ولو طالت فإن النصر آتٍ، الجزائر استعمرت من طرف فرنسا أكثر من قرن وثلاثين سنة والقضية الفلسطينية الآن من 1946-1945 تقريباً الى يومنا هذا ولم يأت النصر يعني تقريبا سبعين (70) سنة ومع ذلك ربما البعض يقول متى يأتي النصر سيأتي نصر الله عز وجل مثلما أعطى الله عز وجل النصر للجزائريين بعد كل هذه المعاناة عندما ظن من ظن بأن الجزائر هي أرض فرنسية وإذا بها تعود الى النبي صلى الله عليه وسلم وتعود الى أرض الإسلام، كذلك أيها الأحباب والأفاضل.

النقطة الثالثة مهمة جداً جداً هي مسألة الصلاح والتقوى وترك الذنوب عندما تتصفح أنت في المعراج ماذا يحدثك حبيبك النبي صلى الله عليه وسلم يحدثك عن هذه الأمة وكيف أن فلان فعل المعصية الفلانية وفلاناً ارتكب المعصية العلانية هذه المعاصي وهذه الذنوب عندما تستشري و عندما تكثر في الأمة وتكون ذنوبنا أكبر من ذنوب أعداءنا

لا يمكننا أن ننتصر وقد قال لنا ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات مرة أننا ننتصر على أعدائنا إذا كانت ذنوبه أكثر من ذنوبنا أما إذا كانت ذنوبنا أكثر من ذنوبهم فلا يمكننا أن ننتصر، هل نحن حقيقة نقدم الإسلام كما أراد النبي صلى الله عليه وسلم هل نحن نبحث عن الغنائم أم أننا نبحث عن الإسلام، هل نحن أنانيين الى درجة أننا نبحث عن أنفسنا فقط ولا نبحث عن غيرنا هل حقيقة نطبق حديث النبي صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

إذن هذه الذنوب هذه المعاصي كلما كثرت في المجتمع كلما دل على أننا لم نبدأ، ربما الأستاذ الدكتور نورالدين سيحدثنا عن التربية الروحية هذا الأمر مهم جداً جداً وربما هو المعيار ربما هو الأصل في هذه النصرة عندما نكون لله عزوجل أولياء حقيقة عندها سوف يأتي النصر أما عندما نكون أولياء للشيطان أو أولياء للأهواء أو أولياء للدنيا فاعلموا بأن النصر لم يحن بعد ولكنه سيأتي عندما يأذن الله سبحانه وتعالى به.

النقطة الرابعة والأخيرة ونختم بها بإذن الله عزوجل وهي:

استعمال كل الوسائل المشروعة لنصرة القدس العظيمة من بين هذه الوسائل أيها الأحباب الطرق السياسية الديبلوماسية لا نمل من الطرق الديبلوماسية السياسية ربما البعض يقول لك بأن القانون بيد الغرب أوأن هذا القانون لم ينصف القضية الفلسطينية ربما هذا صحيح إلى حد ما لكن لابد من إعادة المحاولة وعدم الركون والاستسلام إلى أن يأتي النصر وتتحقق عدالة القضية في الرأي العام الدولي...

هناك قضايا كبيرة ترفع على مستوى المحاكم الدولية وأيضا القانون الدولي الإنساني ولكن لم تأت لنا بأشياء كبيرة ولكن مع ذلك هناك من التخصصين من يتمسك به نقول لهم دعموه ودعوهم ينصرون هذه القضية من هذه الزاوية حتى ولو كانت النتائج قليلة أنت لا تقلق وتقول أنه لم يقدم شيئاً نعم لم يقدم شيئاً لكن نحن نستعمل تلك الوسيلة ونبقى نستعملها كلما وجدنا وسيلة

لنصرة القدس بطبيعة الحال طبعاً أول شيء ربما هو الدعاء يبقى دائما الدعاء لا يمكننا أن نمل من الدعاء والله سبحانه وتعالى يحب من عباده الذي يلح في الدعاء رأيتم أن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر الكبرى كيف كان يدعوالله عز وجل بإلحاح حتى هون عليه أبو بكر الصديق يعني نظراً لإلحاحه الكبير. إذا قلت كذلك الطرق السياسية والدبلوماسية أيضا عند الضرورة الدفاع الشرعي لأننا نحن في الحقيقة نقاتل من قاتلنا ونسالم من سالمنا وهناك مسألة أفتح قوسين مشكلتنا ليست مع اليهودي أو المسيحي ليست عندنا معهم مشكلة يمكنهم أن يعيشوا معنا ويمكنهم أن يعيشوا مع الفلسطنيين، يعيشون معهم كمواطنين ولا يعيشون معنا كمحتلين لأننا نحن نميز بين المحتل، نحن ليس لدينا مشكلة العنصرية وليس لدينا مشكلة إكراه الناس عن الدين لا إكراه في الدين والله عزوجل قال ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ فضلاً عن ذلك المساعدات المادية الكثيرة من الجمعيات الخيرية التي تساعد فلسطين في أزمنة الحرب والسلم والجزائر دولة وشعبا من أكثر من يقف مع القدس في المنشط والمكره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

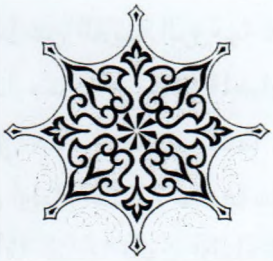

المقاصد التربوية لمعجزة الإسراء والمعراج

بقلم: أ.د. نور الديه بوحمزة
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر (1)

مداخلة ألقيت في ندوة علمية حول نصرة القدس الشريف بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج بتاريخ 27 رجب 1442هـ/ 11 مارس 2021
بدار القرآن-بئر مراد رايس، الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العظيم: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1]، ربنا الواحد القهار، ومقلب القلوب والأبصار، والمطلع على الضمائر والأسرار، والصلاة والسلام على نبينا محمد المختار، المؤيد بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة التي تدل على صدقه، وتفصح عن فضله وشرفه، وسلام الله على أصحابه وأزواجه وأتباعه من بعده، أما بعد: فلا يخفى على شريف علمكم أنَّ الاعتبار بالمقاصد والغايات أولى بالرعاية والعناية في تفسير الوقائع والأحداث من سرد الأحاديث والأخبار مجردة، ونقل الحوادث عريةً عن آثارها ومعانيها، مقطوعةً عن عواقبها ومآلاتها، وقد نبهنا الله تعالى في محكم تنزيله أنَّ المقصود الأعظم من قصص الأوّلين وأخبار الماضين، هو العظة والعبرة والفكرة، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[2].

(1) سورة الأنبياء؛ الآية: 42.

(2) سورة يوسف، الآية: 111

ومن بديع أقوال الإمام أبي المعالي الجويني .رحمه الله .قوله: «**من لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة من وضع الشَّريعة**»[3]، وحقَّ أن ينسج هنا على منواله فيقال: «من لم يتفطن لوقوع المقاصد في معجزة الإسراء والمعراج فليس على بصيرة من مقام النبوة المحمدية، وما حظي النبي صلى الله عليه وسلم فيها من التَّوفيق والعصمة، والتأييد والرعاية، وشرف المنزلة ورفعة المقام».

وقد شرفني من لا يسعني ردُّ طلبه، بأن أقوم في حضرتكم محاضرا عن مقاصد هذه «الرحلة العجيبة» و«المعجزة الفريدة»، التي أكرم الله تعالى بها نبيه محمدا . صلى الله عليه وسلم . وخصَّهُ فيها بمزيدٍ من العطايا الدِّينيَّة، والكمالاتِ الرُّوحية، والمنح الرَّبَّانيَّة، والمواهب السَّنيَّة التي كانت عنوانا له على قُرب الإجابة والقبول، ويسر الإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول، بعد ما لاقاه في سبيل دعوته من شدَّةٍ وبلاءٍ، ومحنةٍ وأذى، فقد كانت معجزة «الإسراء والمعراج» بتقدير الله تعالى المحدود بحكمته البالغة ومشيئته النافذة، نهايةً لأعوام من الكرب وسنين من الضِّيق، كان خاتمتَه عامُ الحزن[4]، وما رزئ فيه صلوات ربي وسلامه عليه . من وفاة من كان يحوطه ويحميه وهو عمه أبو طالب، ومفارقةِ من كانت تؤنسه وتؤويه وهي خديجة الطاهرة، وما تلاه من غم وكرب بعد قفوله من الطائف وما لقي من أهلها من صدود وجحود، تضرع فيه إلى الله تعالى بجميل الصبروجليل الدعاء قائلا: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وهواني عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى عَدُوٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»[5].

(3)الجويني، البرهان (1 /206)

(4) انظر: ابن كثير؛ الفصول في سيرة الرسول (ص63).

(5)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في المجمع: (رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات). وضعفه الألباني

في هذا الجو القاتم، جاءت كرامة «الإسراء والمعراج» في منتصف مبعثه وقبيل هجرته إلى طِيبة الطَّيِّبة، على ما حرره الأكثرون وأقره المحققون، تكريما له وتذكيرا بمقامه في الملأ الأعلى، وتأنيسا لقلبه وتثبيتا لفؤاده، وتتويجا لرسالته الجامعة التي خُتمتْ بها الشَّرائع والملل وكُمِّلت بها الفضائلُ والقيم، ورفعةً لأمته لتقوم بأعباء الدعوة الخالدة إلى قيام الساعة، فتنشر الخير والحق، وتدعو إلى المعروف والإحسان. ولهذا ينبغي أن تكون هذه الرحلة العجيبة موضع النظر والاعتبار، لاستخراج المقاصد التربوية الجليلة، والحكم الربانية العظيمة، والأسرار واللطائف التي هي موضع الذكر والتذكير من هذه الذكرى، وفي التنزيل: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[6] ، وقال تعالى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[7]، وقد لاح منها لي على ضعف نظري وقصور فكري عشرة مقاصد:

(1) . تربية النفس على الصبر واليقين، وتوطينها على الثبات على الحق، لاسيما عند توالي المحن، وتتابع المصائب، واشتداد الكروب، وفي الصبر على ذلك كلِّه رفعةٌ وتشريفٌ، يقول الإمام القرطبي - رحمه الله -: «**الْمِحَنَ إِذَا قَارَنَهَا الصَّبْرُ أَفَادَتْ دَرَجَةً عَالِيَةً فِي الدِّينِ**»[8] ، وقال الإمام الشَّافعي: «**بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين**». وعليه فوقوع هذه «**المعجزة**» عقب توالي تلك المحن، مناسبٌ تمام المناسبة لحكمة الله تعالى وسنته في تأييد أوليائه بالمعجزات والكرامات، «**حَتَّى يَعْلَمَ**

في السلسلة الضعيفة، وفي تخريج السيرة للغزالي (ص132)، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (وذِكْرَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قِصَّةَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ وَدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِبَائِهِمْ عَلَيْهِ. فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطُولِهَا، وَأَوْرَدَ ذَلِكَ الدُّعَاءَ الْحَسَنَ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي» إِلَى آخِرِهِ).

(6)سورة النجم، الآية: 18

(7)سورة الإسراء؛ الآية: 1

(8)الجامع للقرطبي (4 /132).

الْخَلْقُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِنْ كَانَ لَا يُخَلِّي أَوْلِيَاءَهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمِحَنِ إِلَّا أَنَّ فَرَجَهُ قَرِيبٌ مِمَّنْ دَعَاهُ فَإِنَّهُ غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ»[9]، وبهذا المقصد تحصل التَّربية للعبد على احتمال الشَّدائد في التَّكليف، ويعلم علم اليقين أنَّ الفضيلة في الدِّين لا تُستحقُّ إلا بتحمُّل المشاقِّ والصَّبر عليها.

(2) . تحقيق مقصد الطَّهارة والنَّزاهة لتلقِّي الحكمة والمعارف: فالله تعالى هيأ نبيه الكريم لهذه «الكرامة»، ومهَّد له بشرح الصَّدر، وتطهير الفؤاد، فشق صدره وغسل الملك قلبه من ماء زمزم، وملأه حكمة وإيمانا، كما صحَّت بذلك الأخبار المستفيضة، ففي صحيح البخاري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« **فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ففرج صدري، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السَّماء الدُّنيا**»[10].

يقول الحافظ ابن رجب: «وشق صدره - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليلة المعراج وغسله من طست من ذهب من ماء زمزم وملؤه إيمانا وحكمة مما تطابقت عليه أحاديث المعراج »[11].

وخصَّ القلب بالتَّطهير قبل هذه «الرحلة»؛ لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف، فيتهيأ للمناجاة في الملأ الأعلى، ويستعد لتلقِّي الحكمة، ويتأهَّب لاستشعار لذَّة القرب، لتحصل له زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الأنوار القدسية، وليس من رأى كمن سمع. قال الحافظ ابن حجر: « ثم وقع شقُّ الصَّدر عند إرادة العروج إلى السَّماء ليتأهَّب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة، كما تقرر في شرعه صلى الله عليه وسلم »[12].

(3).مقصد تنبيه الخليقة إلى الرُّجوع إلى دين الفطرة والسَّماحة: فقد جاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار

(9)الجامع للقرطبي (4 /136).
(10)أخرجه البخاري في الصحيح: باب قوله كيف فرضت الصلاة، رقم: 349.
(11)فتح الباري لابن رجب (2 /312).
(12)فتح الباري لابن حجر (7 /205).

النبي صلى الله عليه وسلم اللَّبن، فقال جبريل: «**اخترت الفطرة**»، وفي رواية الصحيحين: «**هُدِيتَ الْفِطْرَةَ- أَوْ أَصَبْتَ الفطرة- أما إنك لو أخذت الخمر غَوَتْ أُمَّتُكَ**»[13]. وفي اختياره اللَّبن على الخمر حينما قُدِّمَ له دلالةٌ على أن الإسلامَ دينُ الفطرة، وأن الخروج عليه خروج عن موجب الفطرة، وتغيير لحال الخلق من كمال إلى نقص، وتبديل لهم من صلاح إلى فساد، وليست النبوة في أجلى مقاصدها إلا دعوة للخلق إلى الفطرة، وتربيتهم على مقتضياتها، وتكميلهم بها من النَّقص الذي لحقهم بسبب العوارض الطارئة، من الأديانِ الفاسدة، أو الأهواء الكاسدة. يقول الإمام القرطبي: «**قَالَ عُلَمَاؤُنَا: فَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَغْتَذِي بِهِ الْإِنْسَانُ وَتَنْمَى بِهِ الْجُثَّةُ وَالْأَبْدَانُ، فَهُوَ قُوتٌ خَلِيٌّ عَنِ الْمَفَاسِدِ بِهِ قِوَامُ الْأَجْسَامِ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَامَةً لِجِبْرِيلَ عَلَى هِدَايَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ أُمَّةً**»[14].

والإسلام الذي رضيه الله تعالى دينا هو أوثق الأديان . كما يقول العلامة الإبراهيمي.«**اتصالا بالأصول السَّماوية، و وأوسعُها امتدادا مع التَّاريخ، وأبقاها أثرا في صحائفه، وأعمقُها تأثيرا في نفوس معتنقيه، لملاءمة روحه روحهم، ولمناسبة الفطرة فيه وفيهم**»[15].

4) . مقصد الاصطفاء والاختيار.

ففي «**الإسراء والمعراج**» برهانُ التفضيل والاصطفاء، ودليل التكريم والاختيار، ففقد ظهر للعالمين . بعدها . تقدُّمُه صلى الله عليه وسلم . على الخلق أجمعين، لكمال فضله وشريف منزلته، كيف وقد أمَّ الأنبياء والرسل، وهم صفوة الخلق، فكان إمامهم ورئيسهم، وقدي قيل: إن الاصطفاء يوجب الإرث، لا الإرث يوجب الاصطفاء، وفي الحكمة : «**صحح النسبة ثم ادع الميراث**»، قال الإمام القرطبي : «وَذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ رُسُلٌ وَأَنْبِيَاءُ فَهُمْ صَفْوَةُ الْخَلْقِ، فَأَمَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ جَازَتْ مَرْتَبَتُهُ الِاصْطِفَاءَ لِأَنَّهُ حَبِيبٌ وَرَحْمَةٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(13)أخرجه البخاري في الصحيح رقم: 3437، ومسلم رقم: 272.

(14)الجامع للقرطبي (10 /127).

(15)الآثار للعلامة الإبراهيمي (3 /378).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:107] **فَالرُّسُلُ خُلِقُوا لِلرَّحْمَةِ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلِقَ بِنَفْسِهِ رَحْمَةً، فَلِذَلِكَ صَارَ أَمَانًا لِلْخَلْقِ، لَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ أَمِنَ الْخَلْقُ الْعَذَابَ إِلَى نَفْخَةِ الصُّورِ. وَسَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَحِلُّوا هَذَا الْمَحَلَّ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) يُخْبِرُ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ رَحْمَةٌ لِلْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ »**[16].

(5) . مقصد الاختبار والابتلاء: فقد كانت معجزة «الإسراء والمعراج» امتحانا للمؤمنين الصَّادقين من غيرهم، وتمحيصا للموافق والمخالف، فعند نزول المحن يتميز المنافق من الموافق، والمصدق من المكذب، يقول الله تعالى:﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾[17]. والأكثرون من أهل التفسير. وهو الأصح. قالوا: المراد به ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من الآيات والعجائب، فلما ذكر لهم قصة الإسراء كذبوه وكفر به كثير ممن كان آمن به وازداد المخلصون إيمانا وتصديقا، فلهذا السبب كان امتحانا[18]، يقول الإمام الرازي: **«الْمَقْصُودَ مِنْ هَذَا الِابْتِلَاءِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الصِّدِّيقُ عَنِ الزِّنْدِيقِ، وَالْمُوَافِقُ عَنِ الْمُخَالِفِ»**[19].

(6) . تثبيت معنى القدوة والاقتداء به؛ لكمال منزلته وعلو قدره، فمنافع الإسراء والمعراج راجعة إليه، وفضائله مقصورة عليه، فهي دالة على كماله في نفسه، وكماله. صلوات ربي وسلامه عليه - في تعظيم مولاه والاجتهاد في تحقيق عبادته ورضاه؛ وقد شرفه الله تعالى بهذه المقامات التي لم يسبق إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل، ليتم مقصود القدوة ويتحقق معنى الاقتداء من أمته، **قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: «لَمَّا رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى حَضْرَتِهِ السَّنِيَّةِ، وَأَرْقَاهُ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ الْعُلْوِيَّةِ، أَلْزَمَهُ اسْمَ الْعُبُودِيَّةِ تَوَاضُعًا لِلْأُمَّةِ»**[20].

(16)الجامع للقرطبي (4 / 63).
(17)سورة الإسراء الآية:60
(18)انظر: مفاتيح الغيب للرازي (20 /361)، وتفسير البغوي (3 /141)، وزاد المسير لابن الجوزي (3 / 34).
(19)مفاتيح الغيب (6 /511).
(20)الجامع للقرطبي (10 / 205).

(7) . مقصد تشريع الصلاة وتعظيم قدرها وتذكير الأمة بشأنها، لما فيها من مصالح ومقاصد؛ فهي « معراج الروح» في هذه الدنيا، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَجَمَاعَةِ أَهْلِ السِّيَرِ أَنَّ الصَّلَاةَ إنَّمَا فُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فِي حِينِ الْإِسْرَاءِ حِينَ عُرِجَ بِهِ إلَى السَّمَاءِ[21]؛ وفي تشريعها في تلك الأحوال -التي هي أشرف الأحوال- مزيد عناية وتشريف لها، ولهذا كانت قرة عينه صلوات الله وسلامه عليه، يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: « **والحكمة في وقوع الصَّلاة ليلة المعراج أنَّه لما قدس ظاهرا وباطنا حين غسل بماء زمزم بالإيمان والحكمة، ومن شأن الصَّلاة أن يتقدمها الطهور، ناسب ذلك أن تفرض الصلاة في تلك الحالة، وليظهر شرفه في الملأ الأعلى، ويصلي بمن سكنه من الأنبياء وبالملائكة ولينا جي ربه ومن ثم كان المصلي يناجي ربه جل وعلا**»[22].

(8).مقصد الرسالة العالمية والدعوة الجامعة الخاتمة، التي تضمنتها البعثة المحمدية، وإظهار الارتباط بين الوحي الجديد وصلته بمنابت الوحي القديم من خلال تنقل النبوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة[23]، ليقوم النبي الخاتم والعبد الطَّائع المسرى به، بشرف الإمامة للأنبياء والرسل في المسجد الأقصى معدن الأنبياء، ومهبط الوحي ومشرق الرسالة في القرون الماضية. وهذا مقصد عظيم في معجزة «الإسراء والمعراج»، وهو يكشف عن أسرار جليلة في صلة الإسلام بالأديان الأخرى، ففي رحلة الإسراء: وهو انتقاله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، تذكيرٌ بهذه الحقيقة التي جحدها الأحبار والرهبان، فأنكروا مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوا رسالته، وهي في حقيقتها تتويج لمبعث الأنبياء قبله، وتكميل لرسالتهم، وتنبيهٌ لهم بأن الله تعالى .بعلمه وحكمته ورحمته .قد حول الرِّسالة من أمَّة إلى أمَّة، ومن قبلة إلى قبلة، وجعلها رسالة عالمية لكل زمان ولكل مكان، وهذا ما صرح به القرآن الكريم، وفي هذا تذكير باتحاد دعوة الرسل في أصول الدين

(21)انظر: الجامع للقرطبي (10 /208).
(22)ابن حجر؛ فتح الباري (1 /460)
(23)الآثار (3 /435).

ومجامع الأخلاق وكليات الشرائع، وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِلَّا هَذِهِ اللَّبِنَةَ، فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ**»[24]. فالله تعالى ختم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم المرسلين وأكمل به شرائع الدين[25].

(9) . مقصد الارتباط بالمساجد خير البقاع وأطهر الأماكن، التي هي مخصوصة لله بالعبادة، تقام فيها أعظم شعائر الدين، وتجتمع فيها كلمة المسلمين، ومقاصدها في التربية والتهذيب لا تخفى على مسلم، ولهذا شهد الله تعالى ورسوله لعمارها بالإيمان والهدى، وروادها بالسَّداد والتَّقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[26].

(24)أخرجه البخاري ومسلم.

(25)انظر: فتح الباري (6 /559).

(26)سورة التوبة، الآية: 18

ورحلة الإسراء: هي الانتقال من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، بنص القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[27]، وفي هذا الانتقال من مسجد إلى مسجد رمزيةٌ عظيمة، وسرٌّ بديع يعين على إدراك بعض وجوه الحكمة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا، وَإِلَى مَسْجِدِ إِيلِيَاءَ أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»[28]. ، وفيه دلالة على فضل هذه المساجد الثلاثة على غيرها.

وقد يقول قائل: وأين المسجد النبوي في الآية؟. وهنا لطيفة في التعبير «**بالمسجد الأقصى**» في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، فهو بهذا الوصف الوارد المركب من الوصف والموصوف، عَلَمٌ بالغلبة على مسجد

(27)سورة الإسراء؛ الآية: 1

(28)خرجه مالك في الموطأ رقم: 16

بيت المقدس، وهذا كما يقول محمد الطاهر بن عاشور من مبتكرات القرآن فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف، ولكنهم فهموا المراد منه أنه مسجد إيليا، ولم يكن مسجد لدينٍ إلهيٍّ غيرَهما في ذلك الزمان. «**وفي هذا الوصف بصيغة التَّفضيل باعتبار وضعها معجزة خفية من معجزات القرآن إيماء إلى أنه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم هو مسجد طيبة الذي هو قصي عن المسجد الحرام فيكون مسجد بين المقدس أقصى منه حينئذ**»[29].

(10). مقصد التبليغ بثواب الأعمال الصَّالحة والتحذير من عواقب الأعمال السَّيِّئة التي عاين النبي الكريم. صلى الله عليه وسلم. أحوال أصحابها في المعراج، ترغيبا في الأولى وتزهيدا في الأخرى، ومن تفاريع هذا المقصد:

(أ) - ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما عرج بي ربي عزوجل؛ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**»[30].

وفي رواية: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **رأيت - ليلة أسري بي . رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟! قال: هؤلاء خطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبرو ينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب؛ أفلا يعقلون؟!**»[31].

(ب) - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[32]. وفي هذا إخبارلنا بما يرفع الدرجات في الجنات العاليات بالباقيات الصالحات.

---

(29)التحرير والتنوير (15/15).

(30)أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم:533.

(31)أخرجه أحمد في المسند(3/120)، والبغوي في شرح السنة (4159).

(32)أخرجه الترمذي رقم: 3462 وهو في الصحيحة للألباني (رقم 105).

(11) . مقصد ملاقاة الصَّالحين والوقوف على شرفهم وقربهم من الله تعالى وإكرام الله تعالى لهم، فقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم عددا من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وفيه تشويقٌ للنَّبي صلى الله عليه وسلم في اللَّحاق بهم، واطلاع على منزلتهم في السَّماوات العلا، وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: («مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، كَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي مَرِضَ فِيهِ أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّر) [33] .

(33)أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: 4586.

ملخص عن الملتقى الوطني
للشيخ سيدي محمد بن الكبير رحمه الله
في دورته التاسعة عشرة
بعناسبة اليوم الوطني للإمام بعنوان:
الإمام رسالة دينية وقيمة وطنية

الأربعاء 8 صفر 1443هـ الموافق 15 سبتمبر 2021م

قصر الثقافة، أدرار

مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار

ترأس الجلسة الافتتاحية الأستاذ مسعود مياد المدير الفرعي للتعليم القرآني بالإدارة المركزية، افتتح اللقاء بتلاوة قرآنية للإمام المقرئ سليمان بن حسان، ثم النشيد الوطني.

ألقى بعدها السيد والي الولاية كلمة ترحيبية، ليلقي معالي الوزير كلمته المتمثلة في رسالة السيد رئيس الجمهورية بمناسبة تأسيس اليوم الوطني للإمام، ثم كلمة نجل الشيخ بن لكبير رحمه الله الفاضل أحمد بن لكبير، وتم عرض شريط مصور حول مدرسة الشيخ بن لكبير رحمه الله.

اختتمت الجلسة بتكريمات لشخصيات وطنية فاعلة في رسالة الإمام، وهم:

- الشيخ محمد بن لكبير رحمه الله،
- الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله،
- الشيخ الحاج سالم بن إبراهيم رحمه الله،

- الشيخ إبراهيم طلاي الغرداوي رحمه الله،
- الشيخ محمد بوقابورة المستغانمي رحمه الله،
- الشيخ محمد الطاهر آيت علجت حفظه الله،
- الشيخ الحاج الحسن حفظه الله،
- الشيخ عبد القادر العثماني البسكري حفظه الله،

وقد ترأس الجلسة العلمية الدكتور طيبي عبد المجيد، التي تضمنت ثلاث مداخلات:

- **المحاضرة الأولى:** الشيخ سيدي محمد بن الكبير الإمام الرمز ،لفضيلة الشيخ عبد القادرعمريو
- **المحاضرة الثانية:** الرسالة الدينية للإمام ودورها في خدمة المجتمع، للدكتور عبد الحاكم حمادي
- **المحاضرة الثالثة:** الأبعاد الوطنية في رسالة الإمام-، للدكتور محمد العربي شايشي

وبعد المناقشة تليت توصيات اليوم الدراسي واختتمت فعالياته.

دور الأسرة في صلاح المجتمع أو فَسَادِه

بقلم: الحاج اسباغو
إمام أستاذ بولاية وهران

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله

أيها المسلمون:

إن أساس بناء المجتمعات هي الأسرة الصغيرة، فبصلاحها صلاح المجتمع، وكلما بُنيت على الانحراف والفساد والشرور، كان المجتمع مبنيا على شَفا جُرف هار، ومن أصدق من الله قيلا:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[1].

عباد الله المؤمنين:

إن أعظم أوقات التوجيه والتربية للأبناء، وأكثرها استجابة هي مرحلة الصبا والصغر، أن نغرس فيهم الفضيلة والخُلق القويم، وأن نربيهم على حفظ كتاب الله عزوجل، وأن نأمرهم بالصلاة كما وجهنا لذلك رسولنا الكريم:(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع)[2]، لكنّ الغريب في البعض منا العكسُ على التمام، تجد من يُولع بحب الصغير ابن ثلاث أو أربع سنوات، فيأخذه معه والده في حله وترحاله، فإذا بلغ ستا أو ثمانٍ من السنوات انشغل عنه بالأصغر منه،

(1)- سورة التوبة، الآية:109 .

(2) - سنن أبي داوود، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة،رقم495، 1/133، وشرح السنة للبغوي2/406 .

فتراه يُقبل إلى بيوت الله ويرى ابنه الكبير يلعب الكرة ولايبالي، فيا أخا الإسلام، دع صاحب الخمس سنوات فما دونها يكمل لعبه، وإياك إياك أن تغفل عن صاحب السن الذي أكد عليه رسول الله .

أيها المسلمون:

إن البعض منا قد يتنصل من مهمته ووظيفته التربوية بدافع الجهل أو اللامبالاة، أو لكونه مشغولا، لكن الذي ينبغي التنبيه إليه أن للآباء الدورَ الأكبر، والأثرَ العميق في نفوس الأبناء، بل لقد كان الآباء من أكبر أسباب الكفر والضلال لدى الأمم السالفة، ألم تر قول الله عزوجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾[3]، قال الشيخ الطاهر بن عاشور عند هذه الآية: (جملة معترضة لتسلية النبيء صلى الله عليه وسلم على تمسك المشركين بدين آبائهم)[4]، وقوله تعالى مخاطبا نبيه المصطفى في شأن مشركي قريش:﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩ ﴾[5].

أيها المسلمون:

إن من آثار تفريط وتقصير الآباء في تربية ومراقبة أبنائهم، ما نراه ونسمعه من سلوكات لاتُمت إلى الإسلام بصلة، انظر إلى أولئك الذين يُلقون بأنفسهم طعاما سائغا للحيتان في ظلمات البحار، وانظر إلى أولئك الذين لا همّ لهم من الحياة إلا السرقة والنهب والتعدي والعدوان، وانظر إلى أولئك الذين انحدروا في هاوية المخدرات والمعاكسات في الشوراع ومصاحبة رفقاء السوء، إنها نتائج طتبيعية للإهمال وسوء التربية، ومن يزرع الأشواك فلن يحصد إلا الشواك، ومن أصدق من الله قيلاً:

(3) -سورة الزخرف، الآية:23 .

(4) -التحرير والتنوير 25 /188 .

(5) -سورة هود، الآية:109 .

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [6].

أيها المسلمون :

إن مهمة التربية اليوم من أصعب المهمّات، وأخطر الأمانات، لقد تربينا في وقت كان المجتمع الجزائري يتكافل على التربية، الوالد يربي، والعم يربي، والجار يربي، والمدرسة والمسجد، تكافل اجتماعي على التربية والتوجيه، أمّا اليوم فما نراه ونسمعه غني عن كل وصف، فليتنا ندرك عظم هذه المسؤولية، وثقل تلك الأمانة الملقاة على عاتق الأولياء، وما أعظم تلك التوجهات القرآنية للأولياء، قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[8] ، وقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: **(كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)**[9]، نفعني الله وإياكم بالقرآن والسنة، وما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

(6) -سورة الأعراف، الآية 58 .

(7) -سورة التحريم، الآية 6 .

(8) -سورة طه، االآية 132 .

(9) -صحيح البخاري، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم 893، والسنن الكبرى للنسائي، مسألة كل راع عما استرعى، 8/267.

الخطبة الثانية

اللهم اجمع شملنا ووحد صفنا وطهر قلوبنا من الغل والحسد والنفاق وآخي بيننا، وردنا إلى صراطك المستقيم ردا جميلا، وتجاوز عن أخطائنا وتقصيرنا في حقك وحق دينك وحق أنفسنا وحق الناس من حولنا...اللهم آمِنَّا في أوطانِنا، وجنِّبْنا الفتنَ ما ظهر منها وما بطن، اللهم احفظ جزائرَنا، اللهم احْمِ حدودَها، وانصر جنودَها، واملأْ سُدودَها، واجعلنا ممَّن يحْيِي أرضَهَا، ويعمِّر بنيانَها، ويُعلِي شأنَها، ويطوِّرُ اقتصادَها، ويَعزِّز تنميتَها، ويحافظُ على هُوِّيَتِها وأصالتِها، حتى تكونَ في مقدمة الأممِ والشعوبِ في دينِها ودنياها، وحاضرِها ومستقبلِها.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّمْ وبارك على سيِّدِنَا المصطفَى، وآلـه وأصحابه الشرفا، سبحان ربِّك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.